الأهرام
في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين
بين الأسطورة والتاريخ

الدكتور
ياسر أحمد نور
مدرس التاريخ الإسلامي بكلية التربية جامعة المنصورة

استحوذت الأهرام على حيز كبير من اهتمام نفر غير قليل من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين ، وذلك على مر أزمنة وعصور التاريخ الإسلامي ، وهو ما يعني أنها لم تكن

موضوعا استثنائيا أو هامشيا بالنسبة للفكر الإسلامي ، الأمر الذي شكل باعثا لولوج هذا الموضوع بالبحث والدراسة، أملا في أن نقف على أبعاد هذه الظاهرة المعمارية الشامخة في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين.

وقد بدا من المستحسن أن نبدأ معالجة هذا الموضوع ، بتقديم عرض ببليوجرافي لأهم المظان والمصادر التي تناولت بناء الأهرام ، سواء المطوي[1] منها ولم يصلنا حتى الآن، أو ما وصلنا منشوراً محققاً، وذلك لتقويم ما حوته هذه المصادر من مادة تاريخية في هذا الصدد. وفيما يلي بيان بها :

سعيد بن عفير (ت٢٢٦هـ)[2] : له كتاب مفقود عن تاريخ مصر الإسلامية[3].

أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) : كتاب الأمصار[4].

ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) : فتوح مصر وأخبارها.

أبو معشر البلخي (ت ٢٧٢هـ) : كتاب الألوف[1].

---

[1] – استخدمت مصطلح " الطي " للدلالة على المخطوطات المفقودة أو المختفية ، حسبما تقرر في المؤتمر الدولي الخامس لمركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، والذي انعقد في الفترة من (٦– ٨ مايو /٢٠٠٨) تحت عنوان " المخطوطات المطوية " .

[2] – أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير المصري الإمام الحافظ العلامة الإخباري الثقة. مولده ١٤٦هـ، وهو من موالي الأنصار، وكان ثقة عند أهل الحديث، وقال يحيى بن معين: رأيت بمصر ثلاث عجائب: النيل والأهرام وسعيد بن عفير، وقال ابن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب والأخبار الماضية وأيام العرب والتواريخ، كان في ذلك كله شيئا عجيبا. ويعد سعيد بن عفير من أوائل من أرخوا لمصر الإسلامية. توفي سنة ٢٢٦هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي (ط٩؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣) (٢٠٦) ج١٠ ص ٥٨٣ : ٥٨٦ ، السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (ط١؛ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨– ١٩٩٧) ج١ ص٤٥٢

[3] – لا يزال هذا الكتاب مطويا حتى الآن ، وبالرغم من ذلك فقد وصلتنا عنه عديد من النصوص نقلها عنه جمع من المؤرخين خاصة ابن عبد الحكم ، والكندي ، والسيوطي، والمقريزي، كان منها ما يخص الأهرام . انظر: حسن المحاضرة ج١ ص٦٨، المقريزي: الخطط (بيروت : دار صادر، ب.ت) ج١ ص١١٧، ١١٨

[4] – كتاب الأمصار مطوي، ويصنف ضمن كتب الجغرافيا، وانتقده المسعودي ، لأن الجاحظ لم يعتمد في جمع مادة على الرحلة والمعاينة، بل على النقل من كتب الوراقين. حاجى خليفة : كشف الظنون (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣– ١٩٩٢) ج٢ ص ١٨٩٨ .. وهو كتاب مختصر على حد وصف المقدسي في أحسن التقاسيم ، وقد نقل عنه العديد من المؤرخين القرماني والمقريزي والسيوطي فيما يخص شأن الأهرام . أحمد بن يوسف القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد (ط١؛ بيروت : عالم الكتب ، ١٤١٢– ١٩٩٢) ج٣ ص، الخطط ج١ ص٣١ ٤٧١، حسن المحاضرة ج١ ص٦٣

الكندي (المتوفى بعد عام ٣٥٥ هـ) : كتاب الخطط والآثار[٢].
ابن زولاق (ت٣٨٧هـ) : كتاب الخطط[٣].
والمسعودي (ت٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، والتنبيه والإشراف، وأخبار الزمان[٤].
وكذا كتابي: الاستذكار لما جرى من في سالف الأعمار ، وذخائر العلوم فيما كان من سالف الدهور[٥].

ابن حوقل (توفي في حدود عام ٣٥٠هـ) : كتاب المسالك والممالك

---

[1] – كتاب " الألوف " لأبي معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي ، المتوفى سنة ٢٧٢ هـ، ذكر فيه الهياكل والبنيان العظيم التي يحدث بناؤها في العالم في كل ألف عام ، ولهذا سمي بالألوف ، وهذا المصنف في عداد الكتب المطوية . وهو من موارد المقريزي والدواداري في حديثهما عن الأهرام. انظر الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، تحقيق: إدوارد بدين (بيروت : إصدار الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، ١٤١٤–١٩٩٤) ج٢ ص١٠٢ ، كشف الظنون ج٢ ص ١٣٩٧، الخطط ج١ ص٢١٥

[2] – للكندي مؤلفات تاريخية عديدة ككتاب " الولاة والقضاة "، " أخبار مسجد أهل الراية "، " كتاب الموالي "، " سيرة السري بن الحكم "، " سيرة مروان بن الجعد "، " كتاب الأجناد العربية "، " كتاب الخندق والتراويح "، إلا أننا رجحنا أن يكون كتاب " الخطط والآثار " هو الذي عني فيه بالحديث عن الأهرام، ذلك أن موضوعه ذات صلة مباشرة بهذا الشأن. ويبدو أن السيوطي اعتمد على هذا الكتاب في صياغة أخباره عن الأهرام. انظر: حسن محمود : الكندي المؤرخ (القاهرة : الدار المصرية للترجمة والنشر " سلسلة أعلام العرب/ ٥٥ " ب.ت) ص٤٣، ٤٤. حسن المحاضرة ج١ ص٤٥٢

[3] – لابن زولاق كتب عديدة ، إلا أن كتاب " الخطط " الذي استقصى فيه أخبار مصر هو المؤمل أن يتحدث فيه عن الأهرام ، ويبدو أنه هو المخطوط الموسوم بـ" فضائل مصر وأخبارها وخواصها " والمحفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (١٧١٨)، حيث تناول فيه خطط الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة المعزية، وقد اعتمد القزويني عليه كأحد موارده في حديثه عن الأهرام. كشف الظنون ج٢ ص١٢٥١، آثار البلاد وأخبار العباد، تحقيق: ف.وستنفيلد (جوتنجن : ١٨٤٨) ص١٧٧، على إبراهيم حسن: استخدام المصادر وطرق البحث (ط٣ ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠) ص١٤٠

[4] – على الرغم من تناول المسعودي لموضوع الأهرام في كتبه الثلاثة ، إلا أن معالجته لهذا الموضوع في كتاب " أخبار الزمان " جاءت أكثر عمقا وثراء في التفاصيل ، قياسا بالكتابين الآخرين، وللمسعودي كتاب آخر مطوي موسوم بـ" عجائب الدنيا "، ومن مسماه نرجح أن يكون تعرض فيه أيضا للحديث عن الأهرام. وكذا كتاب آخر مطوي معنون بـ" القضايا والتجارب " أشار إليه في " مروج الذهب " في سياق حديثه عن الأهرام. انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ج٢ ص١١٢٦، مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط٢؛ بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤– ١٤٢٥) ج١ ص٣٧٧

[5] – الكتابان مطويان وقد اعتمدهما جمال الدين الإدريسي ضمن الموارد التي استقى منها مادة كتابه عن الأهرام. انظر: أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ، مخطوط رقم / 900,21 تاريخ – عربي (عارف حكمت) ورقة ١٦.

ابن خرداذبة (ت٣٨٠هـ): المسالك والممالك

القاضي أبو عبد الله القضاعي (ت٤٥٤هـ) : خطط مصر[١].

أبو الصلت الأندلسي (ت ٥٢٩هـ): الرسالة المصرية[٢].

البكري (ت ٤٧٨هـ) : المسالك والممالك.

ابن الكندي (ت٣٥٥هـ): كتاب فضائل مصر المحروسة.

محمد بن عبد الله الأنصاري (لا يعلم سنة وفاته): مناهج الفكر ومباهج العبر[٣].

إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب (ت٥٥٩هـ) : أخبار مصر وعجائبها[٤].

الإدريسي (ت٥٦٠هـ) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) : معجم البلدان .

عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ): كتاب الإفادة والاعتبار .

ضياء الدين بن الأثير(ت ٦٣٧هـ): رسالة في وصف مصر[٥].

جمال الدين الإدريسي (ت٦٤٩هـ)[١]: أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام[٢].

---

[1] – وهذا الكتاب من المؤلفات الرائدة عن خطط مصر وهو مطوي ، ويشير حاجي خليفة إلى أن المسمى الأصلي للكتاب " المختار في ذكر الخطط والآثار "، وتطرق فيه للحديث عن الأهرام ، وقد اعتمد عليه كل من القزويني والمقريزي في هذا الشأن . انظر: كشف الظنون ج١ ص٧١٥، آثار البلاد ص١٧٧، الخطط ج١ ص١١٦

[2] – هذه الرسالة مطوية، ذكر فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ما رآه بمصر من آثاره، ومن اجتمع بهم فيه من الأطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من أهل الأدب، وقد ألفها لأبي طاهر يحيى بن تميم أبي تميم صاحب الأندلس، وهي من مصادر المقريزي فيما يخص شأن الأهرام. انظر: الخطط ج١ ص١١٨، كشف الظنون ج١ ص٨٩١

[3] – هذا الكتاب في عداد المصنفات المطوية، وقد اعتمد عليه السيوطي والكرماني كمورد في حديثهما عن الأهرام وعجائب مصر، إلا أن هناك اضطرابا في مسمى الكتاب، فالكرماني أورده تحت مسمى " مناهج الفكر ، ومباهج العبر "، أما السيوطي وكذا حاجي خليفة فوسماه بـ " مباهج الفكر ومناهج العبر ". كشف الظنون ج٢ ص١٥٩٧، حسن المحاضرة ج١ ص٦٦ ،٦٨، أخبار الدول ج٣ ص٤٧٠

[4] – كتاب " أخبار مصر وعجائبها " لابن وصيف شاه مطوي، وقد نقل المقريزي وابن تغري بردي عنه فيما يخص حديثهما عن الأهرام ، وله أيضا كتاب تاريخ مصر، ذكر فيه الخليقة والأنبياء، ثم إقليم مصر وعجائبها. وله تاريخ آخر مختصر سماه " جواهر البحور ووقائع الدهور ". كشف الظنون ج١ ص ٣٠٥، ج٢ ص١١٢٦، ١٤٣٧، الخطط ج١ ص١١، النجوم الزاهرة (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب.ت) ج١ ص٣٨

[5] – يقول ابن خلكان:" وله رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة "، ولا تزال هذه الرسالة مطوية ، وهي من موارد السيوطي التي نقل منها نصوصا تتعلق بالأهرام. وفيات الأعيان تحقيق: إحسان عباس (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨) ج٥ ص٣٩٥، السيوطي: حسن المحاضرة ج١ص٧٢

سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ): مرآة الزمان[٣].

المقدسي (ت٦٦٥هـ) : الروضتين في أخبار الدولتين.

ابن خلكان (ت٦٨١هـ) : وفيات الأعيان.

القزويني (ت٦٨٢هـ) : آثار البلاد وأخبار العباد[٤].

ابن بطوطة (ولد عام ٧٠٣هـ) : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

ابن المتوج[٥] (ت٧٣٠هـ) : " إيقاظ المتغفل واتعاظ المتوسل " في أخبار مصر[٦].

النويري (ت٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب .

الدواداري (المتوفى بعد ٧٣٦هـ) : كتابي: الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا، والدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة ، وهما يمثلان الجزء الأول والثاني من تاريخه العام ، الموسوم بـ" كنز الدرر وجامع الغرر " .

ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) : العبر وديوان المبتدأ والخبر..

القلقشندي (ت٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا.

المقريزي (ت ٨٤٥هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

ابن تغربردي (ت ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

---

[1] – لم أقف من ترجمة المؤلف سوى اسمه، وسنة وفاته. حاجي خليفة: كشف الظنون ج٢ ص١٧٧٧ .

[2] – هذا الكتاب صنفه المؤلف للملك الكامل عام ٦٢٣هـ. المصدر نفسه ج١ ص١٩٤

[3] – ولهذا الكتاب نسخة مصورة بدار الكتب المصرية، رقم (٥٥١) ، والمكتبة الأهلية بباريس ، رقم (١٥٠٥–١٥٠٦). وقد وضع الشيخ قطب الدين اليونيني (ت٧٢٦هـ) تكملة له وأسماه " الذيل على مرآة الزمان ". وقد ضاع معظم هذا الكتاب ولم يبق منه إلا الجزء ١٥، ١٧، وهذا يعني أن الجزء المتعلق بتاريخ الأهرام ما زال مفقودا، وقد نقل منه السيوطي منه نصوصا عديدة في هذا الشأن . على إبراهيم حسن : استخدام المصادر ص١١٠، ١١١، السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص٦٥

[4] – وللقزويني كتاب آخر مطوي بعنوان " عجائب البلدان " ، من المحتمل أن يكون قد تطرق حديثه فيه إلى الأهرام . انظر حاجي خليفة : المصدر السابق ج٢ ص ١١٢٦

[5] – هو القاضي محمد بن عبد الوهاب بن المتوج بن صالح الزبيري الشافعي المصري، ولد سنة ٦٣٩هـ ، كان أحد المعنيين بسماع الحديث والتحديث به، توفي عام ٧٣٠هـ. ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان (ط٢؛ الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف الثمانية، ١٩٧٢) (١٤٤٦) ج٥ ص٢٨٧

[6] – " إيقاظ المتغفل واتعاظ المتوسل " في أخبار مصر كتاب مطوي، تناول فيه المؤلف أحوال مصر وخططها إلى سنة ٧٢٥هـ، وهذا الكتاب من مصادر السيوطي في حديثه عن الأهرام. انظر: حسن المحاضرة ج١ ص٦٨، كشف الظنون ج١ ص٢١٤

الحميري(ت ٩٠٠ هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار.

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي (السابع الهجري) : كتاب تحفة الألباب[١].

السيوطي (ت٩١١هـ) : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وقد أفرد للأهرام بابا بعنوان " تحفة الكرام بأخبار الأهرام ".

القرماني (ت١٠١٩هـ) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ.

وبإمعان النظر في هذا العرض الببليوجرافي للمظان والمصادر ، يتضح أن اهتمام الفكر الإسلامي بالأهرام بدأ منذ عهد مبكر، وتوالى الاهتمام به على مدار قرون عديدة ، حيث تبين أن بداية اعتناء المؤرخين والرحالة المسلمين بهذا الأمر، جاءت من لدن سعيد بن عفير في أوائل القرن الثالث – وربما قبله – ، واستمرت إلى أن وصلنا إلى القرماني في القرن الحادي عشر .

ويبدو أن بداية اهتمامهم بالأهرام جاء على إثر محاولة المأمون إحداث نقب أو فتحة في الهرم الأكبر عام ٢١٦ هـ[٢]، ولعل ما يؤكد ذلك أن أول محاولات التأريخ لها، جاءت مع أوائل القرن الثالث الهجري حسبما أشرنا، الأمر الذي لفت أنظار المؤرخين وغيرهم للتعرف على ماهيتها، ومحاولة الكشف عن أسرارها .

كما تبين أن الاضطلاع بمحاولة التأريخ للأهرام ، لم تكن حكراً على مؤرخي تاريخ المدن الذين عنوا بالتأريخ للخطط فى مصر، بل تم الاعتناء بها من خلال أنماط تاريخية أخرى، كالتراجم، والنظم، والفتوح، والتاريخ العام..، هذا إضافة إلى كتابات الرحالة والجغرافيين.

وتجدر الإشارة من ناحية أخرى ، إلى أنه بعد فحص ما كتب من أخبار عن الأهرام، اتضح أن المصادر لم تكن في مستوى واحد من حيث التناول والمعالجة حيال هذا الموضوع ، فمنها من نزع أصحابها إلى محاولة استقصاء وجمع ما يتعلق بها من تفاصيل، ومنها من نهج مؤلفوها الإيجاز والاختصار في التأريخ لها، ومنها من اقتصر كتّابها على بيان جوانب معينة وإغفال جوانب أخرى. إلا أنه من استقراء هذه الاتجاهات تبين أن جميعها تمحورت في المجمل حول موضوعين أساسيين :

أولا : الأهرام في نطاق مصر القديمة .

ثانيا : أحوال الأهرام في نطاق مصر الإسلامية.

---

[1] – كتاب مطوي ، وقد اعتمد المقريزي على مادة هذا الكتاب في مواطن عديدة من كتابه. انظر الخطط ج١ ص١١٥، ١١٦

[2] – سنعرض لتفاصيل ذلك فيما يلي .

وسنحاول فيما يلي أن نجلي كل موضوع بشكل مستقل ، لنقف على أبعاده في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين .

أولا : الأهرامات في نطاق مصر القديمة

بداية نوجه النظر إلى أن اهتمام الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمون في هذا الشأن، انصب بشكل أساسي على أهرامات الجيزة الثلاث، لاسيما الهرم الأكبر، أما حديثهم عن باقي الأهرام فلم يرق عن مجرد إشارات عامة ، تعرضت لما كانت عليه من كثرة العدد فضلا عن هيئتها ومادة بناءها، ويمكن تأمل ذلك في قول عبد اللطيف البغدادي[١]:" وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها، وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة .. وفي بوصير[٢] منها الشيء الكثير ، منها كبار ومنها صغار ، وبعضها طين ولبن وأكثرها حجارة ، وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس ". كما نقل المقريزي[٣]عن كتاب القيسي المفقود " تحفة الألباب " ، بأنه أحصى ثمانية عشر هرمًا في مواجهة الفسطاط أكبرها الثلاثة أهرام الشهيرة. وكان سبب زوال هذا الكم الهائل من هذه الأهرام كما سنوضح ، ما قام به صلاح الدين حيالها حيث اضطلع بتفكيك الكثير من أحجارها للإفادة منها في تشيد الحصون والجسور والأسوار[٤].

أما إذا انتقلنا لأهرامات الجيزة الثلاثة ، فسنعرض لما ذكره الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمين عن الأهرام، وفي ضوئها سنحاول تحديد وجهتها ، أهي إلى الأسطورة أقرب أم إلى التاريخ ؟. والحقيقة لن يتسنى لنا ذلك إلا بإعمال إجراء المقارنة بين ما ذكروه، وبين ما جاءت به بعض الدراسات والنظريات الحديثة عن الأهرام .

وإذا بدأنا بعرض ما أوردوه من أخبار بشأن الحديث عمن بناها، ووقت بنائها، فسيلحظ اختلافا كبيرا في الآراء ، لدرجة أن بعض المؤرخين خلصوا على إثر ذلك إلى تعذر القطع برأي

---

[1] – الإفادة والاعتبار (ط١؛ مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٦) ص٢٣ . راجع النويري: نهاية الأرب ج١ ص٣٥٨، المقريزي : الخطط ج١ ص١١

[2] – بوصير اسم لأربع قرى بمصر: بوصير قوريدس من كورة الأشمونين ، وبوصير السدر بليدة في كورة الجيزة . وبوصير دفدنو من كورة الفيوم. وبوصير من كورة السمنودية. ونرجح أن يكون المقصود بها بوصير السدر بالجيزة ، ذلك أن عبد اللطيف البغدادي ذكر أن الأهرام كلها ببر الجيزة، وفي هذا يقول:" وهي كثير العدد جدا وكلها ببر الجيزة "، ثم خصص بوصير من الجيزة بكونها حوت من هذه الأهرام الشيء الكثير. الإفادة والاعتبار ص٢٣ ، معجم البلدان ج١ ص٥٠٩، ٥١٠

[3] – الخطط ج١ ص١١٦

[4] – الإفادة والاعتبار ص٢٣.

حاسم في هذا الأمر، فقد نقل ابن عبد الحكم[١] عند أحد المحدّثين قوله :" ولم أجد عند أحد من أهل المعرفة من أهل مصر في الأهرام خبرا يثبت ". ويقول المقريزي[٢]:" وقد اختلف الناس في وقت بنائها، واسم بانيها، والسبب في بنائها، وقالوا في ذلك أقوالا متباينة أكثرها غير صحيح ..". ويقول ياقوت الحموي[٣]:" واختلف الناس في أهرام مصر اختلافا جما، وتكاد أن تكون حقيقة أقوالهم فيها كالمنام ".

أما عن الآراء ذاتها ، فسنجد أن منهم من نسب بنائها إلى هرمس الأول ، وهو ما يسمى لدى العبرانيين (أخنوخ)، وهو إدريس عليه السلام ، وذلك تخليدا لما أنجزه من علوم وصناعات وأموال، وكان ذلك قبل الطوفان[٤]، ولعل الرابط بين هرمس وبناء الأهرام، هو صلة الصابئة بمعرفة النجوم والكواكب وعبادتها، ذلك أن هرمس من أهم الشخصيات المقدسة لدى الصابئة كما هو معلوم . وذكر عبد اللطيف البغدادي[٥] أنه قرأ في كتبهم حجهم إلى الأهرام ، لاعتقادهم بأن هرمي الجيزة هما قبري نبياهما (أغاذيمون) و(هرميس) ، ويقول النويري[٦]: " وهم يحجون إليها ، ويذبحون عندها الديكة ، والعجول السود ، ويبخرون بدخن[٧] ".

ومن ضمن ما عزى إليه المؤرخون المسلمون بناء الأهرام، شداد بن عاد[٨]، ولكن المسعودي[٩] يروي أن القبط ينفون دخول قوم عاد إلى مصر. وأرجع بعضهم بناءها إلى نبي الله

---

[1] – ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : محمد الحجيري (ط١؛ بيروت : دار الفكر ، ١٤١٦– ١٩٩٦) ج١ ص٤٩

[2] – الخطط ج١ ص١١١

[3] – معجم البلدان (بيروت: دار الفكر، ب.ت) ج٥ ص٣٩٩

[4] –القزويني: آثار البلاد ص١٧٩، جمال الدين الإدريسي: أنوار علوي الأجرام، ورقة ١٥، ١٦ ،٢٠ ،٦٦ ، ٦٧، النويري: نهاية الأرب ج١ ص٣٥٩ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص٢٩٣، المقريزي: الخطط ج١ ص١١٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٣٩ ، التوراة / سفر التكوين / الإصحاح الخامس / ١٩ وما بعدها

[5] – الإفادة والاعتبار ص٢٥. انظر كذلك: القلقشندي: صبح الأعشى، تحقيق: يوسف طويل (ط١؛ دمشق: دار الفكر، ١٩٧٨) ج٣ ص٣٦٠، المقريزي: المصدر السابق ج١ ص١١٨

[6] – نهاية الأرب ج١ ص٣٦٠

[7] – الدخن نبات عشبي حبه صغير ، أملس كحب السمسم .

[8] – ابن عبد الحكم : فتوح مصر ج١ ص٤٥، أبو جعفر الإدريسي: أنوار علوي الأجرام ورقة ٥٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج٣ ص٣٦١، المقريزي: الخطط ج١ ص١١١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٣٨

[9] – أخبار الزمان ، تحقيق: عبد الحميد حنفي (ط١؛ مصر: ١٣٥٧هـ– ١٩٣٨م) ص١٣٢ ، انظر كذلك: ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٣٨

يوسف عليه السلام[١]. ونسب صاحب المسالك والممالك بناءها إلى شخصية أسطورية ، وهناك من زعم أن اسمه الملك بطلميوس القلوذيّ[٢]، وقيل: النمرود[٣]، وقيل: دلوكة الملكة[٤]، وقيل: بناها العمالقة[٥]، وقيل بناها القبط قبل الطوفان[٦]. وهناك من ذكر أن بناء الأهرام تم في عهد الملك (سوريد).

وإذا بدأنا بالتحقيق في مسألة الشخصية التي بنت الأهرام، وتأملنا مكانة الرأي الأخير قياسا بالآراء الأخرى، سيصل إلى ما وصل إليه القلقشندي[٧]، وهو أن أكثرية الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين على أن الملك (سوريد)، هو من بني أهرامات الجيزة الثلاثة[٨].

ولما كانت الدراسات الحديثة لا تتفق مع الرواية الإسلامية من حيث كون الأهرام الثلاثة بنيت في عصر ملك واحد وهو (سوريد)، إلا أن الأخيرة تتفق مع ما ذهب إليه أحد الدارسين من

---

[1] – صبح الأعشى نقلا عن المسعودي ج١ ص٣٦١ ، السيوطي : حسن الحاضرة ج١ ص٦٣

[2] – ابن خرداذبة : كتاب المسالك والممالك (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩) ص١٥٩

[3] – السيوطي : المصدر السابق ج١ ص٦٥

[4] – ويذكر ابن عبد الحكم قال : " لما أغرق الله فرعون مصر بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشراف أهلها أحد، ولم يبق إلا العبيد والأجراء ، فأعظم أشراف من بمصر كن من النساء، وقد أجمعن علي تولية واحدة من بينهن، فكانت " دلوكة بنت زباء " وكان لها عقل وتجارب ومعرفة، فبنت جدارا حصنت به مصر من الأعداء، وكان من حد زنج إلي أفريقيا إلي الواحات إلي بلد النوبة، وفي أيامها بنت تدرورة الساحرة البرابي في وسط منف، فملكتهم دلوكة عشرين سنة، حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم يقال له: (دركوس بن بطليوس) . فتوح مصر ج١ ص٣٣، ٣٤ ، انظر كذلك: المقريزي: المصدر السابق ج١ ص٣٨، ٣٩، السيوطي: المصدر السابق ج١ ص٦٥

[5] – القلقشندي : المصدر السابق ج٣ ص ٣٦١، المقريزي : المصدر السابق ج١ ص١١٨، السيوطي : المصدر السابق ج١ ص٦٣

[6] – الداوداري : الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا ، تحقيق: بيرند رانكة (القاهرة : إصدار الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، ١٤٠٢-١٩٨٢) ج١ ص٢١٩

[7] – المصدر السابق ج٣ ص٣٦١

[8] – أبو جعفر الإدريسي: أنوار علوي الأجرام، ورقة ٦٤ ، البكري : المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة (ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية ،٢٠٠٣- ١٤٢٤) ج١ ص٨٥، الداوداري : الدرة العليا ج١ ص٢١٩، ٢٢٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص٢٩٣، النويري: نهاية الأرب ج١ ص٣٦٠، المقريزي : الخطط ج١ ص١١، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص ٣٨، السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص٦٣ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٥ ص٣٩٩، ٤٠٠ ، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (ط٢؛ بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠) ص١٥

أن الملك (سوريد) هو باني الهرم الأكبر، وهذا يعني معارضته للشائع وهو أن الملك (خوفو) من شيد الهرم الأكبر[١]، وقد استند في إثبات ذلك لجملة قرائن منها :

أنه لم يُعثر حتى الآن على المومياء الخاصة بمن يدعى الملك (خوفو) ، فضلا عن أنه لا يوجد تماثيل، أو صور، أو نقوش، أو وثائق تاريخية، تلقي الضوء على عصره، وأعماله، وحقيقة شخصيته الغامضة.

كما استند أيضا إلى أن الاسم الذي أطلقه عليه مؤرخو العصر الحديث وهو (خوفو)، لا يوجد ما يشير إليه في أي من قوائم الملوك المعروفة التي سجلها الفراعنة في مختلف العصور، سواء في قوائم (مانيتون) ، وكذا قوائم أبيدوس وبالرمو وسقارة. بل إن الذي ورد في قوائم (مانيتون)، أن ثاني ملوك الأسرة الرابعة الذي تولى الحكم بعد الملك سنفرو هو (سورد)، وفي القوائم المترجمة باللغة اليونانية (سوريس)[٢]، كما لم يرد اسم (خوفو) من بين مختلف الأسماء التي أطلقها مؤرخو الإغريق والرومان على من قام ببناء الهرم الأكبر، بل الذي ورد ذكره: (سيوفيس)، و(سوريد)، و(خمبريس)، و(راميس) ، أما هيرودوت فأطلق عليه (كيوبس)[٣].

أما اسم (خوفو) نفسه فلم يظهر إلا في السنوات الأولى من القرن ١٩ ، عندما قام العالم البريطاني (هيوارد فيز) بزيارة الهرم الأكبر، وعثر في إحدى الغرف التي تعلو غرف الدفن على الاسم الكامل لخوفو مكتوبا باللغة الهيروغليفية ، وعلى حجر آخر ظهر نقش مماثل يحمل اسم آخر (خنوم خوفو) ، و(خنوم) في معتقد المصريين القدماء، هو معبود الشلال الأول حامي البشر من أخطار الفيضان ، وتعني باللغة المصرية القديمة " جل جلاله "، وبالتالي فـ (خونوم خوفو) تعني " الإله خنم يحمينى "[٤].

وفيما يتعلق بإشكال تحديد الفترة الزمنية التي شيدت فيها الأهرام، فلو أمعنا النظر سنجد أن أكثرية الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين، على أن بناءها تم قبل حادث الطوفان أو الفيضان الكبير. وقد نُقل عن ابن وصيف شاه قوله :" ويذكرون أن الأهرام بنيت قبل

---

[1] – تشكك بعض النظريات في نسبة بناء الهرم الأكبر للملك خوفو . انظر تفصيل ذلك: أنطوان بطرس : لغز الهرم الكبير (ط١ ؛ بيروت – لندن: شركة رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٨) ص ١١٣

[2] – سيد كريم : لغز الهرم الأكبر (القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م) ص٣٧

[3] – نفسه ص١٤

[4] – سيد كريم : لغز الهرم الأكبر ص٧

الطوفان، وهو القول الذي تقول به الخواص "[1]، أي المحققين من المؤرخين. وهناك من المؤرخين من حدد التوقيت بثلاثمائة سنة قبل حادث الطوفان[2].

والحقيقة أنهم يلتقون في المجمل بهذا الرأي مع بعض النظريات التي ذهبت إلى أن الهرم الأكبر قد أقيم قبل حادث الطوفان ، استنادا لما تم العثور عليه من أصداف بحرية كثيرة عند قاعدته[3].

وإذا كانت الدراسات الحديثة لا تزال تجهل الكثير عن شخصية باني الهرم الأكبر، فإن الرواية الإسلامية لم تقنع بأن يتوقف تعريفها بـ(سوريد) صاحب هذا البناء الشامخ عند حدود الاسم ، حيث نسبت له الكثير من أعماله الهامة[4] هذا إلى جانب بناء الأهرام . أما فيما يخص بناء الأهرام، فيبرز بوضوح دور الأسطورة في صياغة المادة التاريخية ، حيث حاول بعض المؤرخين المسلمين من خلالها أن يقدموا تفسيرا لباعث الملك (سوريد) على بناء الهرم الأكبر، فربطوا بين هذا الباعث وبين حادث الطوفان العظيم، فجاء فيما رواه أن (سوريد) رأى في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها، وكأن الناس هاربون على وجوههم، وكأن الكواكب تساقطت، ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة ، فاغتم لذلك ، ثم رأى بعد ذلك كأن الكواكب الثابتة نزلت إلى الأرض في صورة طيور بيض، وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الجبلين انطبقا عليهم، وكأن الكواكب النيرة مظلمة؛ فانتبه مذعورا، فجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر – وكانوا مائة وثلاثين كاهنا وكبيرهم يقال له أفليمون – فقص عليهم، فأخذوا في ارتفاع الكواكب، وبالغوا في استقصاء ذلك، فأخبروا بأمر الطوفان. قال: أو يلحق بلادنا ؟ قالوا: نعم، وتخرب وتبقى عدة سنين. فأمر عند ذلك ببناء الأهرام[5].

---

[1] – أبو جعفر الإدريسي: أنوار علوي الأجرام، ورقة ٦٤

[2] – ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٣٨، السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص٦٣

[3] – راجي عنايت : الهرم وسر قوته الخارقة (ط٦؛ القاهرة : دار الشروق، ١٤١٥– ١٩٩٥) ص٣٧

[4] – انظر المسعودي: أخبار الزمان ص١٣١، ١٣٢، البكري: المسالك والممالك ج١ ص٨٥، ٨٦، أبو جعفر الإدريسي: المصدر السابق ، ورقة ٦٤، ٦٧

[5] – المسعودي : أخبار الزمان ص ١٨، ١٠٩ ، البكري: المسالك والممالك ج١ ص٨٦، ٨٧، أبو جعفر الإدريسي: أنوار علوي الأجرام ورقة ص٧٩:٦٦، الداوداري : كنز الدرر ج٢ ص ١٠٩: ١١٢، ابن بطوطة: تحفة النظار، تحقيق: علي الكتاني (ط٤؛ بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥) ج١ ص٥٨ ، المقريزي : الخطط ج١ ص١١١، ١١٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١ ص ٣٨، ٣٩، السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص٦٣، ٦٤، الحميري: الروض المعطار ص١٦ ، ابن بطوطة: تحفة النظار ، تحقيق: علي الكتاني (ط٤؛ بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥) ج١ ص٥٨

وهناك رواية أخرى ذكر فيها القضاعي أن التنبؤ بالطوفان لم يكن عن طريق رؤية رآها الملك (سوريد)، بل عن طريق حسابات فلكية ، قام بها أحد علماء الفلك في دولته ، وعلى أساسها أمر (سوريد) ببناء الأهرام[١] .

ولم يقف أثر الأسطورة في الرواية الإسلامية عند هذا الحد، حيث ذكرت أن الملك (سوريد) إلى جانب إنجازه في بناء الهرم الأكبر، شيد كذلك الهرم الغربي (هرم خفرع)، والملون وهو الأصغر (هرم منكاورع)، متجاوزة بذلك ما هو مستقر عليه في الدراسات الحديثة، بل تجاوزت حتى منطق العقل، حيث يستحيل أن يتم بناء ثلاثة أهرام بهذه الضخامة المعمارية، في عصر ملك واحد ، حتى الهرم الأكبر ذاته، ثبت أنه تم على مرحلتين في عصرين متتاليين[٢].

والتساؤل المطروح الآن ..هل كان حادث الطوفان هو السبب الوحيد الذي قالت به الرواية الإسلامية كباعث على بناء الأهرام ؟

في الحقيقة إن هذا الأمر كان مثار خلاف بين المؤرخين المسلمين ، فمنهم من ذكر أنها شيدت لتكون قبورا لملوك عظام، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عليهم في حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها خالدا على مر العصور[٣]. أما ابن فضل الله العمري[٤] فعرض بعض الآراء في هذا الشأن :" وقد أكثر الناس القول في سبب ما بنيا له (هرمي خفرع ومنكاورع). فقيل: هياكل للكواكب ، وقيل: قبور ومستودع مال وكتب، وقيل ملجأ من الطوفان ..". ثم بعد أن أعمل نظره في هذه الآراء خلص إلى " أنها إما هياكل كواكب ، وإما مواضع قبور " ، وذلك لكونها ليست شبيه بالمساكن[٥]، كما أن استدلاله بأنها هيكل للكواكب استنادا لكون " الصابئة كانت تحج الواحد وتزور الآخر "[٦]. ويقترب ابن بطوطة[٧] من هذا الرأي فيقول عن سبب بنائها: " لتكون مستودعا للعلوم، ولجثث الملوك ".

---

[1] – انظر: المقريزي : الخطط ج١ ص١١٦

[2] – انظر سيد كريم : لغز الهرم الأكبر ص٧١، ٧٢

[3] – ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص٢٩٣، الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ليدن : ١٨٦٦) ص ١٤٦، ابن حوقل : المسالك والممالك ص١٠١، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٤٠ ، القزويني : آثار البلاد ص١٧٨، المقريزي : الخطط ج١ ص١١٨، القلقشندي: صبح الأعشى ج٣ ص٣٦٠، البكري: المسالك والممالك ج١ ص ٩٢، ٩٣، الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ليدن : ١٨٦٦) ص ١٤٦، ابن حوقل : المسالك والممالك ص١٠١

[4] – ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد زكي باشا (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٢-١٩٢٤) ج١ ص٢٣٥

[5] – المصدر نفسه ج١ ص٢٣٥

[6] – العمري : مسالك الأبصار ج١ ص٢٣٦

[7] – تحفة النظار ج١ ص٥٨

كما اتضح أن الدراسات والنظريات الحديثة لم تستقر هي الأخرى على رأي في هذا الشأن، فهي حائرة بين كونها مرصدا فلكيا ، أو مقبرة ، أو معبدا[١]. ومنها من ذهب إلى أن الهرم الأكبر بني على مرحلتين: الأولى قام ببنائها المهندس (إيمحوتب) في الأسرة الثالثة كمرصد فلكي، ثم استُكمل هذا البناء في المرحلة الثانية في الأسرة الرابعة، لينهض كمستودع يتحفظ فيه بأسرار الوجود والمعرفة والفنون[٢].

ومن ناحية أخرى ربط الدواداري بين عقيدة البعث لدى المصريين القدماء وبين سبب بناء الأهرام ، فذكر أن اعتقادهم بالرجعة أو البعث، يقوم على العودة إلى عالمهم بعد الموت والاتصال به من جديد، ولهذا كتبوا علومهم على الأهرام بصور وحروف مرمزة، كي لا يعرفها أحد غيرهم، وفي هذا يقول:" وكان هؤلاء القوم يدينون بالرجعة، فرمزوا علومهم على أن تكون لهم رجعة ، فخابت آمالهم ، وغابت أموالهم "[٣].

والحقيقة إن الدراسات الحديثة أثبتت أن القول بالرجعة أصل في العقيدة الدينية عند المصري القديم ، فدفن بعض الأشياء والأدوات الدنيوية مع الميت، يدل بشكل قاطع على أنهم كانوا يعتقدون أن الحياة في الدار الآخرة لا تختلف كثيرا عن الحياة الأولى حين كانوا يعيشون على وجه الأرض[٤]، كما ثبت أيضا أن الإله (أوزيريس)[٥] كان ترمز لهم بالبعث، والذي اقترن به ملوك مصر بعد موتهم متحولين بدورهم إلى آلهة نجمية[٦].

على أية حال، ظلت الرواية الإسلامية تسهب في طرح العديد من التفاصيل ذات المسحة الأسطورية فيما يخص بناء الأهرام الثلاثة لاسيما الهرم الأكبر، ومن أمثلة ذلك ما أوردته بشأن الأغراض التي أرادها (سوريد) من بناء الأهرام الثلاث ، فكان أن أنشأ في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا ، ليحتفظ فيها بالأموال، والآلات، والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة، وآلات الحديد الفاخر، والسلاح الذي لا يصدأ، والزجاج الذي لا ينطوي ولا ينكسر، والطلسمات

---

[1] – انظر تفصيل ذلك راجي عنايت : الهرم وسر قوته الخارقة ص٣٥ : ٤٨

[2] – سيد كريم: لغز الهرم الأكبر ص ٦٩ ، راجي عنايت: المصدر السابق ص ٣٤

[3] – الدرة العليا ج١ ص ٢١٩ . لم يكن الدواداري أول من أشار إلى عقيدة البعث أو الرجعة بعد الموت، فقد سبقه إليها المؤرخ المصري ابن عفير، حيث نقل عن بعض مشايخ مصر، أن من بنى الأهرام كانوا يقولون بالرجعة، وإذا مات احدهم دفن معه ماله ، وان كان صانعًا دفن معه آلة صنعته. انظر المقريزي : الخطط ج١ص١١٨ ، ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٤٠١

[4] – انظر: سيريل ألدريد : الحضارة المصرية ص٥٩

[5] – انظر: المرجع نفسه ص٩٥، ٩٦

[6] – ولهذا كثرت في المتون الفرعونية عبارات تخاطب الملك على النحو التالي :" لقد حملت بك السماء مع أريون إلى الجهة الغربية للسماء .. أيها الملك أنت هذا النجم العظيم ، أنت رفيق أوريون ، ويبحر إلى العالم الآخر مع أوزيريس ". أنطوان بطرس : لغز الهرم الكبير ص ١٩١ ،١٩٢

الغريبة، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة، والسموم القاتلة، وغير ذلك. أما الهرم الشرقي فزوده بالقباب الفلكية التي يتقربون بها إلى الكواكب . وفيما يخص وظيفة الهرم الملون، فجعله موئلا لحفظ أجساد الكهنة وأخبارهم وعلومهم، ولهذا صنع توابيت من صوان أسود، ليوضع فيها " مع كل كاهن مصفحة، وفيها عجائب صنعته وحكمته وسيرته، وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره "[1]. واستمرارا في نسج الأسطورة يقول ابن تغري بردي [2]إن للهرم الشرقي والغربي " أبوابا مقببة في الأرض وكل باب من حجر واحد يدور بلولب، إذا أطبق لم يعلم أنه باب، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت كل بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وكلها مقفلة بأقفال حديد، وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوف إحدى يديه على فيه، وفي جبهته كتابة بالمسند إذا قرئت انفتح فوه فيوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح ".

وتسرف الرواية الإسلامية في المبالغة من خلال الأسطورة ، فتذكر أن (سوريد) جعل لكل هرم خازنا، فخازن الهرم الغربي من حجر صوان واقف، ومعه شبه الحربة، وعلى رأسه حية مطوقة، من قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده، وطوقت على عنقه فتقتله، ثم تعود إلى مكانها. وجعل خازن الهرم الشرقي صنماً من جزع أسود، وله عينان مفتوحتان براقتان، وهو جالس على كرسي، ومعه شبه حربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوتاً يفزع قلبه، فيخر على وجهه، ولا يبرح حتى يموت، وجعل خازن الهرم الملون صنماً من حجر البهت على قاعدة، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلتصق به، ولا يفارقه حتى يموت "[3].

ولعل من الأهمية بمكان إبداء المأخذ على استسلام الرواية الإسلامية للأسطورة على هذا النحو ، حتى وصل الحال ببعض المؤرخين إلى رواية ما يجافي صحيح العقيدة الإسلامية فضلا عن صريح العقل ، كروايتهم بأن الملك (سوريد) " جعل في الهرم الملون أخبار الكهنة في توابيت من صوان أسود، مع كل كاهن مصفحة. وفيها عجائب صنعته وحكمته وسيرته، وما عمل في وقته ، وما كان ، **وما يكون من أول الزمان إلى آخره** "[4]. والعجيب أن بعض الدارسين يلتقي مع هذا القول، فقد ذهب كل من (دافيد سون) و (ألدر سميث) في كتاب " الهرم الأكبر ورسالته المقدسة "، أن الهرم الأكبر في جوهره سجلا للعصور، وتاريخا للماضي، ومفتاحا

---

[1] – المسعودي : أخبار الزمان ص ١٣٦، ١٣٧، الداوداري : كنز الدرر ج٢ ص ١١٦، ١١٧، المقريزي : الخطط ج١ ص١١٣، السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص٦٤

[2] – النجوم الزاهرة ج١ ص٤٠، انظر كذلك: المسعودي : المصدر السابق ص١٣٧ ، الداوداري : المصدر السابق ج٢ ص١١٨

[3] – المسعودي : المصدر السابق ص ١٣٦ ، المقريزي : المصدر السابق ج١ ص١١٣، السيوطي : المصدر السابق ج١ ص٦٤

[4] – المسعودي : أخبار الزمان ص ١٣٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص٦٤.

لأحداث المستقبل ، فهو يتضمن الكثير من التواريخ الهامة في تاريخ البشر وحتى نهاية العالم[١].

وعلى الرغم من أن الأسطورة أتت كما هو واضح على الحقيقة التاريخية فحرفتها عن مواضعها ، فإننا لو حاولنا قراءة بعض المفردات خارج سياق الأسطورة ، سنجدها ترشد عن بعض الخصائص التي تستند إلى أصل في تاريخ مصر القديمة، كـ" الطلمسات "، و" الكهنة " ، و" العقاقير "، و" الحكمة " ، و" التوابيت ".

فمعلوم أن الكهنة كانوا أساس تشكيل بنية الفكر الديني والسياسي والمعرفي في مصر القديمة، حيث استأثروا بعلوم الكيمياء والصيدلة والطب ومعارف السحر وغير ذلك[٢]. كما كان لصناعة التوابيت شان عظيم لدى المصري القديم، لاسيما فيما يتعلق بمعتقده في العالم الآخر. ناهيك عن الحكمة والأقوال المأثورة من أهم ما ميزت الحياة الفكرية والدينية لدى المصري القديم.

وفيما يخص الفلك، فلابد بداية أن نقرر حقيقة هامة وهي أن المؤرخين المسلمين " أول من ربط بين بناء الأهرام وبين علم الفلك "[٣] ، وتصديقا لذلك كشفت الدراسات الحديثة عن أن العقيدة الدينية المصرية في عصر بناة الأهرام ، كانت عقيدة نجمية ، بمعنى أن طقوسها ذات صلة وثيقة بمعرفة النجوم والكواكب، وآية ذلك أن الكوى التي تضمنتها الأهرام كانت متجهة نحو نجوم معينة ، ناهيك عن أن نسق أهرام الجيزة على الأرض، يتبع نسق ترتيب نجوم مجموعة أرويون[٤] .

أما عن نوعية الحجارة التي شُيد بها بناء الأهرام وكيفية البناء بها، فيذكر عبد اللطيف البغدادي[٥] أنها مبنية بحجارة جافية ، يكون طول الحجر منها ما بين العشرة أذرع والعشرون ذراعا ، وسمكه ما بين ذراعين إلى ثلاث وعرضه نحو ذلك ، والعجب كل العجب في وضع الحجر على الحجر بهندام ليس في الإمكان أصح منه بحيث لا تدخل بينهما مدخل إبرة ولا خلل شعرة ، وبينهما طين كأنه شعرة لا أدري ما صنفه ولا ما هو . أما سبط ابن الجوزي فنقل عن كتابه " مرآة الزمان " أن حجارة هرمي الجيزة الكبيرين كانت من المرمر"، إلا أن الدواداري[٦]

---

[1] – راجي عنايت : الهرم وسر قوته الخارقة ص٤٣

[2] – ولمزيد من التفاصيل عن العلوم والمعارف التي برع فيها كهنة مصر القديمة ، انظر: سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة، ترجمة: زينب الكردي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥) ص١٢٣، ١٨٦

[3] – أنطوان بطرس : لغز الهرم الكبير ص ٤٦

[4] – أنطوان بطرس : لغز الهرم الكبير ص ١٧٩

[5] – الإفادة والاعتبار ص٢٥

[6] – الدواداري : الدرة العليا ج١ ص٢١٧

انتقد بعضا من هذا الزعم بقوله:" أما قوله أنهما من المرمر فلا ، وليس فيهما شيئا منه ، وإنما هما حجرا أصم ..".

وعن تحديد مناطق جلبها ، فيذكر بعضهم أن بعض مقاطع حجارة الأهرام مأخوذ من بعض المغارات التي تقع بإزاء الأهرام بالضفة الشرقية[١]. وقد ثبت بالفعل أن الأحجار التي استخدمت في بناء جسم الهرم استخرجت من المحاجر القريبة من المنطقة. أما الأحجار التي استخدمت في بناء الكسوة الخارجية فهي أحجار أكثر نعومة ونقاء ، وقد استجلبت من محاجر " طرة " على الشاطئ الآخر من نهر النيل[٢].

أما عن مناطق جلب حجر الصوان، فتذكر الرواية الإسلامية أنها كانت تجلب من أسوان والقلزم[٣]، وقيل أنها كانت تقطع بأسوان وتهندس ، ويكتب عليها أسماء. فكانت تأتي بذاتها ، فتكون في المكان المعدود لها ، المخصوص بها[٤]، ويذكر الدواداري[٥] : أن الملك (سوريد) استجلب الصخور السود من ناحية أسوان تفاديا لكارثة الطوفان. وقد أكدت الشواهد الأثرية على أن المهندس المصري القديم تعامل مع أقسى أنواع الحجارة البازلت، والديوريت ، والجرانيت، خاصة المستخرجة من محاجر أسوان، واعتمد عليها بشكل أساسي في بناء الأهرام والتماثيل[٦].

وفي نهاية هذا المقام لم يتبق إلا مناقشة مسألة جد هامة، يمكن طرحها من خلال التساؤل الآتي .. من أين استقى الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمون مادتهم عن أخبار الأهرام فيما يخص فترة مصرة القديمة ؟.

بعد استقراء ما ورد في الرواية الإسلامية في هذا الشأن، بدا ظاهرا من كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين أنهم عولوا على ثلاث موارد أساسية، نهلوا من خلالها ما جمعوه من مادة إخبارية بشأن الأهرام وهي:

---

[1] – اللطيف البغدادي : المصدر السابق ص٢٦

[2] – سيريل ألدريد : الحضارة المصرية ص١٤٤، أنطوان بطرس: المرجع السابق ص١٣٨

[3] – اللطيف البغدادي : المصدر السابق ص٢٦ ، المقريزي: الخطط ج١ ص١١٢، ١٢١، السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص ٢٤

[4] – الدواداري : الدرة اليتيمة ج٢ ص١١٤، ١١٥

[5] – المصدر نفسه ج٢ ص١١٤

[6] – سيريل ألدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة : مختار السويفي (ط٣؛ الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٧– ١٩٩٦) ص١٥٤ ، أمينة عبد الفتاح السوداني : المناجم والمحاجر في مصر القديمة ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٠، ص ١٧٤: ١٩٤

أولا : المدونات والكتابات التي أرخت للأهرام ، فالمتأمل للمصادر التي حاولت استقصاء المادة التاريخية المتعلقة بالأهرام ، سيلحظ أن ثمة تشابه بينها في التفاصيل يصل في كثير من الأحيان إلى حد التطابق ، الأمر الذي يشي بأن ثمة موردا مدونا كان هو المعين الأساسي الذي نهلت منه هذه المصادر ، وبمزيد من أعمال التنقيب في المصادر عن هذا المورد ، تم الكشف عنه بين ثنايا ما كتبه الداوداري عن الأهرام ، ويتمثل هذا المورد تحديدا في كتاب مدون باللغة القبطية[١] تناول تاريخ مصر القديمة، إلا مؤلفه مجهول وكذا أوان كتابته، وقد عثر عليه الداوداري ببلدة سوهاي[٢] بصعيد مصر، ولنتركه يروي قصة عثوره على هذا الكتاب، حيث يقول:" وقع لي لما وجهني ...[٣] الكبير رحمه الله ، إلى الوجه القبلي ، بسبب ترميم الكنائس والأديرة ، فوجدت هذا الكتاب في الدير الأبيض[٤] الذي في مقابل سوهاي ، وكان به رجل فاضل يقال له (برصوما) . فلما تجارينا في أمر تاريخ مصر أحضر هذا الكتاب، وقرأه عليّ وفسره بالعربي ، فانتسخت منه لي طول مدة إقامتي بالدير ، ما أنا أذكره هاهنا ، فإن فيه من العجائب والغرائب ما لا يسمع بمثله "[٥] .

ولعل البعض قد يتساءل..لماذا اعتبرنا هذا الكتاب هو مورد الرواية الإسلامية الأساسي عن الأهرام ؟

في الحقيقة عندما نتأمل جل كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين عن الأهرام ، نجدها لا تخرج عما نقله الداوداري من هذا الكتاب، لاسيما – كما قلنا – فئة المؤرخين الذين نزعوا إلى استقصاء كل ما يخص الأهرام من أخبار، ولعل أقدمهم وأبرزهم المسعودي، ولقد فطن الداوداري نفسه لذلك ، حيث خلص بعد إجرائه المقابلة بين ما كتبه المسعودي ، وبين ما

---

[1] – اللغة القبطية هي آخر دور للهجة المصرية العامية في اللغة المصرية القديمة التي تكلم بها سكان وادي النيل منذ آلاف السنين ، وفي أوائل القرن الثالث الميلادي تحولت هذه اللهجة إلى لغة دينية وعامية ، وظلت كذلك إلى انتهى استخدامها بحلول القرن السابع عشر الميلادي ، واقتصر استخدامها فقط على الكنائس ، وكانت تكتب بحروف يونانية صرفة لا علاقة لها بالحروف المصرية ، واستعارت فقط من اللغة المصرية سبعة أحرف من الخط المصري الديموطيقي . انظر :

أنطوان ذكري : مفتاح اللغة المصرية القديمة (ط١؛ القاهرة: مكتبة مدبولي ، ١٩٩٧) ص١٢٠

http://kame.danacbe.com/index.php?topic=21.0

http://www.geocities.com/remenkimi/pronounciation.html

[2] – سوهاي قرية بمصر من قرى بلدة إخميم بصعيد مصر . معجم البلدان ج٣ ص٢٨٦

[3] – سقط من النص الأصلي

[4] – يذكر المقريزي أن الدير الأبيض دير قديم يعرف بدير بوشنودة ، ويقع غربي بلدة سوهاي ، وبناؤه من الحجر وقد خرب ولم يبق منه إلا كنيسته، وكان يقع على مساحة تقارب الربعة أفدنة . الخطط ج٢ ص ٥٠٧

[5] – الدرة اليتيمة ج٢ ص١١٠

ورد في هذا الكتاب القبطي ، إلى أنه اطلع على هذا الكتاب ونقل عنه في تاريخه، لما وجده من التوافق والتطابق الكبير بينهما، وعن ذلك يقول:".. ورأيت المسعودي وافق على كثير منه ، ولعله وقف على هذا التأريخ المذكور ، وقد ذكرت ما استنسخته من الكتاب القبطي، وقابلت عليه من تأريخ المسعودي يظهر صحة ذلك لكل واقف عليه "[١].

وإذا رجعنا إلى ما كتبه المسعودي نفسه ، سنجد في عباراته ما يؤكد وقوفه واطلاعه على مصادر قبطية مدونة ، لعل من بينها الكتاب الذي نقل منه الداوداري ، ويتضح ذلك في العديد من عباراته كـ" وفي مصاحف القبط "[٢]، " وفي كتب المصريين "[٣]، و" في بعض كتب القبط "[٤].

ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب المدون بالقبطية، على الرغم مما حواه من مادة تاريخية، تلتقي في الكثير من جوانبها مع ما أثبتته أو ذهبت إليه العديد من النظريات أو الدراسات الحديثة عن الأهرام ، فإنه تضمن في ذات الوقت مادة أسطورية فلكلورية استحوذت على مساحة كبيرة من مادة هذا الكتاب ، وقد أكد الداوداري[٥] على ذلك في أكثر من موضع ، كقوله :" فإن فيه من العجائب والغرائب ما لا يسمع بمثله "، وقوله في سياق حديثه عن الدلوكة " ولها أحوال كثيرة منكرة ، أضربت عنها "[٦]. وعلى هذا يتسنى تحديد أحد أهم منابع الأسطورة التي تسربت في بنية الرواية الإسلامية عن الأهرام.

يضاف إلى هذا المورد موارد أخرى، ولكنها أدنى أهمية من المورد السالف الذكر، أشار إليه البكري في سياق حديثه عن الباعث الذي دفع بسوريد لبناء الأهرام فيقول:" وفي مصحف هرقل ، وكان تاريخه لستمائة سنة من الطوفان أن سوريد نظر في النجوم .."[٧]. وكذا ما نقل عنه أبو جعفر الإدريسي[٨] " وقرأت في كتاب مسيسون الراهب المنقول من كتاب العلم المخزون في عمل الطلمسات .."

ثانيا : الرواية الشفهية ، وهذا المورد يمكن أن نقف على حضوره في بنية الرواية الإسلامية عن الأهرام، من خلال مقولات بعض المؤرخين، كقول سعيد بن عفير :" ولم يزل

---

[1] – الدواداري : الدرة العليا ج١ ص ١١٨ ،١١٩

[2] – المسعودي : أخبار الزمان ص ١٠٤

[3] – المصدر نفسه ص ١١٨

[4] – المصدر نفسه ص١٣٢

[5] – الدرة اليتيمة ج٢ ص١١٠

[6] – المصدر نفسه ج٢ ص ١٢٩

[7] – البكري : المسالك والممالك ج١ ص٩٢

[8] – أنوار علوي الأجرام ، ورقة ٢١

مشايخنا من أهل مصر يقولون.. ". وقول المسعودي[١] :" وتحكي القبط حكايات كثيرة تخرج عن العادة وتنكرها العقول "، " وتحكي القبط في أمور الروحانيين الغالبين على الأهرام.."[٢]. ولاشك أيضا أن هذا المورد كان مرتعا لأفاعيل الأسطورة والفلكلور الشعبي في صياغة المادة الإخبارية المتعلقة بالأهرام .

ثالثا : الترجمة من خلال فك رموز اللغة المصرية القديمة المدونة على الأهرام ، فثمة إشارات متناثرة في بعض المصادر، يبدو منها أن بعض المؤرخين المسلمين اعتمدوا في استقاء مادتهم التاريخية، على بعض المصريين أو الأقباط الذين كانوا على دراية بهذه اللغة [٣]، فمثلا يذكر القضاعي في كتاب " خطط مصر" المفقود " أنه وجد في قبر من قبور الأوائل صحيفة فالتمسوا لها قارئاً فوجدوا شيخاً في دير قلمون يقرأها[٤].."، ويذكر أيضا ابن الجوزي أنه حكي عن بعض علماء مصر ، أنهم حلوا بعض الأقلام فوجدوه " إني بنيتها (أي الأهرام) بملكي فمن ادعى قوة فليهدمها ، فإن الهدم أيسر من البناء "[٥].

والظاهر لي أن هذا المورد مطعون في مصداقيته ، إذ لو توافر من كان على علم بهذه اللغة ونجح في فك رموزها، لانكشف غموض بناء الأهرام ، ولما تواجد هذا الحضور القوي للأسطورة ، ويبدو أنها محاولة من بعض المؤرخين لإيهام المتلقي بكونهم وقفوا على من ترجم لهم هذه اللغة المبهمة، ليضفوا الأهمية على ما كتبوه.

ولعل ما يؤكد ذلك عجز وتخبط الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين في تحديد ماهية ما نقش من حروف على جدران الأهرام، فمنهم ذهب إلى أنها حروف الخط المسند[٦]، وهناك من ذهب حروف اللغة اليونانية[٧] . وذكر ابن الجوزي في مرآة الزمان: " وعليهما (الهرم الشرقي والغربي) جميع الأقلام السبعة: اليونانية، والعبرانية، والسريانية، والسندية، والحميرية، والرومية، والفارسية[٨]. ولكن الداودراي[٩] نقض هذا الرأي بقوله :" وقوله سائر الأقلام ، وذكرهم

---

[1] – أخبار الزمان ، بتصرف بسيط ص ص١٠٧

[2] – المصدر نفسه ص١٤٢

[3] – زعم المقريزي أن غير واحد من بلدة أخميم أخبروه أن أبي الفيض ذي النون المصريّ الإخميميّ المتصوف، كان ممن يقرأ اللغة المصرية القديمة، ويذكر البكري أن راهبا بأخميم يدعى (ساس) هو الذي علمه اللغة المصرية القديمة . الخطط ج١ ص٣٩، ٤٠، المسالك والممالك ج١ ص٩٤

[4] – المقريزي : الخطط ج١ ص١١٦، القزويني : أثار البلاد ص ١٧٨

[5] – الدواداري : الدرة العليا ص٢١٨

[6] – القزويني : المصدر السابق ص١٧٠ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٩

[7] – ابن حوقل : المسالك والممالك (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٣) ص١٠٠

[8] – حسن المحاضرة ج١ ص٦٥

[9] – الداوداري : المصدر السابق ص١٧، ١٨

، فليس كذلك فإن الأقلام الذي ذكرهم يوجد من يحلهم ، وهذا القلم الذي منقوش فيهما قلم غريب قديم قد انقطع من يفهمه ولا يعلمه " . بل حاول الداودراي نفسه أن يضطلع بمحاولة فهم مدلول أو معاني هذه الحروف، من خلال المقارنة بين ما رقم منها على هرمي الجيزة وبين ما سطر على قبور أخميم، ولكن محاولته باءت بالفشل، وقد خلص إلى أن أصحابها تعمدوا أن يحولوها رموز ، كي لا تكشف أسرار علومهم[١].

****

ثانيا : أحوال الأهرام في نطاق مصر الإسلامية

سنتعرض في هذا المحور لما كتبه الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمون عن أحوال الأهرام، وما جرى عليها من أحداث على مدار أزمنة مختلفة في نطاق مصر الإسلامية ، هذا إضافة الرؤى الحضارية التي قدمها بعض المؤرخين حيالها، والتي يمكن إن يستبان منها أبعاد المنظور الإسلامي للأهرام .

وإذا أعملنا إجراء التسلسل التاريخي في رصد هذا الشأن، فتكون البداية مع نزول الصحابة ψ ببر الجيزة أثناء عملية الفتح ، ويذكر أبو جعفر الإدريسي أن العديد من الصحابة نزلوا منطقة الأهرام في هذه الأثناء، ويبدو أنه استقصى وحقق في هذا الأمر تاريخيا ، ويظهر ذلك في قوله " والذين تحققنا معرفة نزولهم بها.."[٢]، وكان من بين الصحابة الذين أورد ذكرهم : الزبير بن العوام ، وأمه السيدة صفية ، وسعد بن أبي وقاص ، وخارجة بن حذافة السهمي، والمقداد بن الأسود ، وأبو رافع مولى الرسول ρ [٣] .

ولعل أبرز ما أولاه المؤرخون وغيرهم من الاهتمام في هذا السياق أيضا، محاولة نقب الخليفة العباسي المأمون للهرم الأكبر عندما ورد مصر عام ٢١٦هـ[٤] ، فمن الثابت تاريخيا

---

[1] – المصدر نفسه ص ١٨

[2] – أنوار علوي الأجرام، ورقة ١٧

[3] – المصدر نفسه، ورقة ١٧

[4] – ينقل أبو جعفر الإدريسي رأيا، ذهب إلى أن زيارة المأمون للهرم الأكبر كان عام ٢١٧هـ، ولكن ذلك رأي شاذ يخالف ما عليه إجماع المؤرخين المسلمين، من أن ذلك كان عام ٢١٦هـ. انظر: المصدر نفسه ، ورقة ٢٢

أن النقب الحالي في هذا الهرم من صنيع المأمون ، ويشي كلام ابن خلدون والقلقشندى بأن المأمون كانت غايته الهدم وجمع الفعلة لذلك فلم يحل بطائل[١].

إلا أن المسعودي[٢] ذكر أن المأمون أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها، فقيل له: إنك لا تقدر على ذلك، فقال: لابدّ من فتح شيء منه ففتحت له الثلمة المفتوحة. ويقول أبو جعفر الإدريسي[٣] :" ولم يجد من شفي بحديثه عنها من شغفه بالوقوف على حقيقة حديثها الأسقام ، أمر بنقب الهرم الأكبر ليطلع على ما فيها من الأسرار .."

إذاً فالشغف المعرفي كان هو مطلب المأمون في نقبه للهرم الأكبر ولم يكن الهدم لذاته، وذلك لاستكشاف ما يحويه من أسرار، وهذا يتسق ويتواءم مع طبيعة عصر المأمون، حيث الانفتاح على العلوم والمعارف والثقافات.

وقد ذكر المسعودي[٤] أن الذي أحدث هذه الثلمة هو هارون الرشيد وليس المأمون، ويبدو أن هذا الخطأ ربما وقع فيه أحد نسّاخ كتابه " أخبار الزمان "، حيث إن جميع المؤرخين يتفقون على أن الذي أحدثها المأمون، بل إن المقريزي[٥] نقل خبر هذا الحدث عن المسعودي نفسه، وعزى فيه هذا العمل للمأمون وليس للرشيد .

على أية حال كشفت بعض المصادر عن تفاصيل هذه المحاولة ، حيث تذكر أن المأمون لم ينجح في إحداث هذا النقب إلا بعد جهد جهيد ، وأن اختياره لهذا النقب لم يكن بناء مخطط مدروس، بل تداعيات لإجراء عشوائي ، إلا أنه تصادف أن وقع النقب على مكان ينفذ منه إلى الغرض المطلوب، وهو زلاقة ضيقة من الحجر الصوان المانع الذي لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين ملتصقين بالحائط، قد نقر في الزلاقة حفر يمسك به السالك ويستعين به على المشي في الزلاقة. وتنتهي الزلاقة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر أي تابوت. وأسفل الزلاقة بئر عظيمة، ويقال: إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة، وبيوت ومخادع وعجائب[٦]، ويذكر ابن تغربردي[١] أن هذا الموضع مازال يدخله الناس إلى وقته. ولكن.. هل هذا كل ما وجده المأمون في الهرم الأكبر ؟ ..

---

[1] – انظر العبر (ط٤؛ بيروت دار إحياء التراث العربي ، ب.ت) ج١ ص٣٤٦، ٣٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى ج١ ص٣٦٢

[2] – راجع المسعودي : أخبار الزمان ص١٣٨ ،البكري: المسالك والممالك ج١ ص٩١، السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص٦٤، ٦٥، الحميري: الروض المعطار ص١٦

[3] – المصدر السابق، ورقة ٢٤

[4] – انظر أخبار الزمان ص ١٣٨

[5] – الخطط ج١ ص١١٣

[6] – ابن تغري بردي : نجوم الزاهرة ج١ ص٤٠، المقريزي : الخطط ج١ ص١١٣ ،١١٤

يذكر بعض الدارسين أن المأمون لم يجد غير تابوت فارغ بدون غطاء[٢]، والحقيقة إن ما ورد في المصادر الإسلامية يؤكد عكس ذلك ، فيشير المسعودي[٣] بوجه عام إلى أن الذين نزلوا الهرم بعد فتح الثلمة، وجدوا " قاعة كبيرة فارغة ، فعلموا أن أجساد موتاهم في ذلك الموضع ، وأن معها كنوزهم وأموالهم "، ولعله يقصد بالقاعة الفارغة ما يعرف بحجرة الملك[٤]. ويذكر ابن خلدون[٥] أن هناك من يزعم أن المأمون وجد ذهبا بهذه الغرفة.

كما تذكر بعض المصادر أنه وجد في وسط الموضع المربع تابوتا من الجرانيت الأخضر، مطبق فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا **رمة بالية** (مومياء)، فأمر المأمون بالكف عما سواه[٦]، وربما يعني هذا وجود أكثر من تابوت في حجرة الملك، بدليل التابوت الموجود حاليا في غرفة الملك ، وهو مصنوع من الجرانيت الأسود[٧].

ويضيف القيسي أن هذا التابوت أخرج إلى المأمون ، فلما فتح وجد فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف ، وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضيء كلهب النار فأخذه المأمون[٨]. ومن المحتمل أن تكون هذه المومياء للملك (خوفو) ، أو (سوريد) حسب مسمى الرواية الإسلامية ، كما يبدو أن غطاء هذا التابوت كان على شكل آدمي، لأن القيسي وصفه بالصنم ، وقد شاهده بنفسه عام ٥١١هـ ملقى عند باب دار الملك بالقاهرة[٩].

---

[1] – المصدر نفسه ج١ ص٤٠

[2] – جيمس بيكي : الآثار المصرية في وادي النيل، ترجمة : لبيب حبشي، شفيق فريد (القاهرة : ١٩٩٣) ص ٢٤٧، راجي عنايت : الهرم وسر قوته الخارقة ص٣٣

[3] – المصدر السابق ص١٣٩

[4] – وعن موقع هذه الحجرة بداخل الهرم الأكبر. انظر الشكل(١) في نهاية البحث.

[5] – العبر ج١ ص٣٤٧

[6] – القزويني : آثار البلاد ص١٧٩، أبو جعفر الإدريسي: أنوار علوي الأجرام، ورقة ٢٤، النويري: نهاية الأرب ج١ ص٣٦٠، المقريزي: الخطط ج١ ص١١٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١ ص٤٠

[7] – تم العثور حديثا داخل غرفة الملك على تابوت فارغ من الجرانيت الأسود، وقد عثر عليه بالجانب الغربي من غرفة دفن الملك التي تقع في قلب الهرم الأكبر. سيريل ألدريد : الحضارة ص١٥١

[8] – المقريزي : المصدر السابق ج١ ص١١٦، ويلتقي الحميري إلى حد كبير مع ما ذكره القيسي في هذا الشأن . انظر: الروض المعطار ص١٧

[9] – المقريزي : المصدر السابق ج١ ص١١٦. وما لاشك فيه أن هذه الآثار التي اكتشفت بعد نقب المأمون لو ظلت باقية لكان من الممكن أن الكثير من أسرار بناء الأهرام، التي لا يزال الكثير منها لغزا يصعب حله حتى اليوم .

وعلى الرغم من ثبوت هذا الحدث تاريخيا لدى جل من اهتم بالحديث عن الأهرام من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين ، فإن بعضهم أضفى عليه مسحة أسطورية، حيث ذكروا أن المأمون وجد بداخل الهرم " مطمرة من زبرجد أخضر، فيها ألف دينار، وزن كل دينار أوقية من أوقينا؛ فتعجبوا من ذلك، ولم يعرفوا معناه. فقال المأمون: ارفعوا إلى حساب ما أنفقتم على فتحها، فرفعوه؛ فإذا هو قدر الذي وجدوه، لا يزيد ولا ينقص "[١].

ويعلق ابن فضل الله العمري[٢] على هذه الرواية بقوله:" ولقد فتح أكبرها (أي الهرم الأكبر) في زمن المأمون ، فلم يظهر منه ما يدل على ما وضع له ، وعلى ألسنة الناس أنه وجد ذهبا فوزنه ، وحسب مقدار ما وزنه فوجده سواء بسواء ، لا يزيد أحدهما على الآخر بشيء لعلمهم السابق أنه سينفق عليه مثل هذا المقدار. فوضع هذا المقدار بإزاء ما ينفق عليه، ووجدت هذا في كثير من الكتب، فراجعت التواريخ الصحيحة والكتب المسكون إليها، فلم أجد المأمون وجد به شيئا ، ولا ستفاد زائدا عما يعلم الناس به علما " .

وفي سياق الرصد التاريخي لما جرى من أحداث على الأهرام، يذكر المسعودي[٣] أنه في ولاية يزيد بن عبد الله[٤]، توصل قوم إلى مدخل إلى الأهرام من الخارج، فلما أخبر بذلك عزم أن يدخلها من هذا المدخل، إلا أنهم أشكل عليهم تحديد مكانه ولم يجدوا إليه سبيلا . ويذكر بعض الدارسين أن المدخل الخارجي للهرم الأكبر كان معلوما في العصر الروماني، ويدل على ذلك وصف (سترابون) له ولطريقة غلقه، ولكن مع مرور الوقت غطى الرديم والرمال المتراكمة هذا المدخل فأخفته[٥].

وفيما يخص العصر الطولوني، رصدت أقلام بعض المؤرخين موقف أحمد بن طولون من الأهرام، فتناولت فضوله وشغفه بمعرفة أسرارها، حتى قيل: أنه استدعى بعض علماء الأقباط المعمرين الذين ادعوا درايتهم بأحوال الأهرام، وسألهم عن كيفية بنائها ، وتفسير اللغة التي دونت

---

[1] – المسعودي: أخبار الزمان ص١٣٨، البكري: المسالك والممالك ج١ ص٩١، ابن بطوطة : تحفة النظار ج١ ص٥٨، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٤٠، الحميري: الروض المعطار ص١٧

[2] – مسالك الأبصار ص٢٣٥ ، ٢٣٦

[3] – العمري : مسالك الأبصار ص١٤١

[4] – يزيد بن عبد الله التركي، تولى إمرة مصر من قبل الخليفة العباسي المتوكل عام ٢٤٢هـ، وظل على إمرة مصر إلى عام ٢٥٣هـ. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ص٥٥، ج٢ ص٣١٤

[5] – جيمس بيكي : الآثار المصرية في وادي النيل ص٢٤٧، سمير أديب : الجيزة (القاهرة : ١٩٩٧) ص٩، ١٠

على جدرانها. إلا أن إجابات من استفتاهم كشفت في كثير منها عن جهلهم التام بأحوالها وباللغة التي سطرت عليها[١].

كما كشفت المصادر عن أن اهتمامات أحمد بن طولون بالأهرام، لم تقف عند هذا الحد، حيث تجاوزت ذلك إلى التنقيب والبحث فيما تحويه من كنوز، أو ما أطلق عليه حسب مصطلح هذا العصر بـ" المطالب " ، ويحدد المقريزي سنة ٣٦٢هـ بالعام الذي شرع فيه من أحمد بن طولون وغيره في هذا الأمر، ويقول: " لهم أخبار عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن والأموال والجواهر، وما أصيب في هذه المطالب من القبور "[٢].

وهذا يعني أن الأهرام تعرضت لمحاولات سطو كبيرة في عصر أحمد بن طولون ، والواضح من النص أنهم عثروا على كنوز طائلة لاسيما من الذهب، هذا إلى جانب ما وقفوا عليه من وتوابيت وتماثيل ومماوات..[٣].

كشفت المصادر كذلك عن أن أحمد بن طولون أفاد منها في إصلاح نظام العملة في دولته ، فقد عثر في بعض محاولاته على كم هائل من القطع الذهبية[٤]، إلا أن ابن طولون فحص عيار الذهب بها، ووجده أجود من كل عيار، فضرب دنانيره أسوة بهذا العيار، يقول المقريزي[٥]:" وشدّد من حينئذٍ في العيار بمصر، حتى صار عيار دينار الذي عرف بالأحمديّ أجود عيار، وكان لا يطلى إلا به ". وعلى هذا فما شهده عصر أحمد بن طولون من نهضة اقتصادية، يعود في جانب منه إلى هذه الكنوز التي تحصل عليها جراء التنقيب في الأهرام وغيرها من القبور والمعابد الفرعونية.

وعلى الرغم من ثبوت محاولات أحمد بن طولون تاريخيا في التنقيب عما تحويه الأهرام من كنوز وذخائر، إلا أن بعض المصادر غلفت هذه المحاولات بغلاف أسطوري، ومن ذلك أنهم وجدوا في التابوت الذي عثر عليه الواسطي كاتب أحمد بن طولون لوحا عليه صورتين من ذهب، إحداهما صورة رجل بيده حيّة، والأخرى صورة رجل على حمار بيده عكاز، وفي الجانب الآخر صورة رجل على ناقة بيده قضيب، فأخذنا ذلك اجمع وصرنا به إلى أحمد بن طولون،

---

[1] – انظر ابن تغري بردي : المصدر السابق ج١ ص٤١

[2] – انظر المقريزي : الخطط ج١ ص٤١

[3] – عن حصيلة ما عثر عليه الواسطي كاتب أحمد بن طولون نتيجة هدم أحد الأهرامات الصغار. انظر: ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص١٥٩

[4] – أنظر تفاصيل ذلك: المقريزي: الخطط ج١ ص٤١

[5] – المصدر نفسه ج١ ص٤٢

فدعا بصانع فالف اللوح واجمعنا على أن الصور موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين[١].

ومن صنف ذلك أيضا ما ذكره السيوطي[٢] من أن أحمد بن طولون لما ملك مصر، حفر على أبواب الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة مرجان مكتوباً عليها سطوراً باليوناني، فأحضر من يعرف ذلك القلم، فإذا هي أبيات شعر، فترجمت فكان مما ورد فيها:

أنا من بنى الأهرام في مصر كلها ... ومالكها قدماً بها والمقدم

تركت بها آثار علمي وحكمتي ... على الدهر لا تبلى ولا تتثلم ...

كما عنيت كتابات المؤرخين المسلمين برصد ما جرى من أحداث على الكثير من أهرمات الجيزة في ظل الدولة الأيوبية ، حيث تم الإفادة منها في بناء السدود والقلاع والأسوار، وهو ما يعني هدم وطمس معالم الكثير منها، فبأمر من صلاح الدين الأيوبي لخصيه قراقوش، قام الأخير بخلع حجارة من أهرام الجيزة الصغر، والإفادة منها في بناء القناطر الموجودة اليوم بالجيزة، وكان جملة ما بني منها فقط في عام ٥٩٧هـ نيفا وأربعين قنطرة ، وهو ما يدل على وجود هذا العدد الهائل من هذه الأهرامات[٣].

وفي عام ٥٩٢هـ جد المعظم عيسى بعد عودته من دمشق في نقض الأهرام، ورمى أحجارها في البحر إلى دمياط، ليبني بها أبراجا[٤].

وفي عام ٥٩٣هـ ، شرع الملك العزيز عثمان يوسف ، في هدم أهرامات الجيزة الثلاث، فخرج على رأس النقابين والحجارين ، وبدأوا بهدم الهرم الصغير، وأقاموا على هدمه نحو ثمانية أشهر حتى " نفدت نفقاتهم وتضاعفت نصبهم ووهت عزائمهم وخارت قواهم كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ولا بلغوا غاية ، بل كانت غايتهم أن شوهوا الهرم، وأبانوا عن عجز وكسل "[٥].

---

[1] – ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص١٦٠

[2] – حسن المحاضرة ج١ ص٦٦

[3] – عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٢٣، الدواداري: الدرة العليا ج١ ص٢١٨، المقريزي: الخطط ج١ ص١٢٧

[4] – الحموي: التاريخ المنصوري، تحقيق: أبو العيد دودو (دمشق مطبعة الحجاز،١٩٨١) ج١ ص٥

[5] – عبد اللطيف البغدادي: المصدر السابق ص٢٥، ٢٦. ومن طريف ما قاله عبد اللطيف البغدادي عن هذا الحدث :" فإن الرائي لحجارة الهدم يظن أن الهرم قد استؤصل ، فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء ، وإنما جانب منه قد كشط وحينما شاهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر سألت مقدم الحجارين ، فقلت له: لو بذل لكم ألف دينار على أن تردوا حجرا واحدا إلى مكانه وهندامه هل يمكنكم ذلك ؟ ، فأقسم بالله إنهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم أضعافه. الإفادة والاعتبار ص٢٦

وثمة حدث هام في القرن السابع جرى تحديدا على هرم (منكاورع)، أو ما يطلق عليه في المصادر الإسلامية " الهرم الملون " أو " الهرم الأحمر "، حيث نجح بعض المطالبيين من دخوله ، بعد أن تسنى لهم الكشف عن مدخله الرئيس، ولعل هذا يفسر وجود الكتابات العربية التي عثر عليها (فيس) في عام ١٨٣٧م على جدران حجرة الدفن، ومن ثم خاب ظنه في أن يكون أول من كان له سبق الدخول إلى الهرم الثالث منذ أيام بانيه[١] .

ويعتبر أبو جعفر الإدريسي هو المؤرخ الوحيد الذي أطلعنا على ملابسات الحدث الهام، والذي يمكن أن نفسر به وجود هذه الكتابات ، فيذكر أنه في عصره تسنى العثور على فتحة انفتحت في ذيل الهرم الأحمر (هرم منكاورع) ، وقد أشار إلى أنه لم يعرف تحديدا الشخص الذي اكتشفها ، ثم أخذ يصف الزحف الشاق في الممرات الضيقة إلى أن تم الوصول إلى ساحة أو فراغ محاطة بأربع حيطان ، تفضي إلى ست أو سبع حجرات على هيئة القباب. والظاهر أنه كان يصف حجرة الدفن المقببة بالهرم ، وفي هذه الساحة التي تتوسط هذه الحجرات يوجد تابوت مستطيل فارغ أزرق اللون ، وذكر عن شاهد يدعى الشريف أبو الحسن أنه كان حاضرا عندما اقتحم المطالبيون الهرم بحثا عن الكنوز، وذلك بعد محاولات هدم دامت ستة أشهر ، وعندما وجدوا هذا التابوت حطموا غطاءه ، فوجدوا بها مومياء رجل، ولم يعثر بجانبها على شيء سوى بعض لوحات ذهبية منقوشة بحروف لم يستطع أحد فك رموزها[٢].

والواقع إن كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين عن الأهرام في فترة مصر الإسلامية، لم تقف عند رصد ما جرى عليها من حوادث ، بل تجاوزت ذلك إلى تقديم بعض الرؤى التي جسدوا من خلالها حقيقة نظرتهم للأهرام ، وتسنى بعد الاستقراء حصر هذه الرؤى في الجانب الوعظي، والحضاري، والعلمي .

أما عن الرؤية الوعظية ، فقد نظر بعضهم للأهرام على أنها من مواطن استلهام العبرة من تاريخ السابقين، حتى لا يغتر الإنسان بقوته، ذلك أن مصيره في النهاية سيودي بهم في النهاية إلى نفس مصير السابقين، وعلى هذا يرى أبو جعفر الإدريسي[٣] أن الأهرام داخلة في عموم قوله تعالى (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة وأثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان له من واق)[٤]. ويقول في موضع آخر :" فليتأمل المتأمل ببصر البصيرة إشارة هذه الآيات المحكمات المنبهة لأولي البصاير والأبصار

---

[1] – ج. بيكي : الآثار المصرية ج١ ص٢٧٥ . وعن تفاصيل المقاطع الداخلية للهرم الثالث، انظر: الشكل (٢) في نهاية البحث.

[2] – أبو جعفر الإدريسي: أنوار علوي الأجرام، ورقة٤٧، ٤٨

[3] – المصدر نفسه ورقة٥٤

[4] – سورة غافر / آية ٢١

، ثم ليتأمل ما يتأمل من آثار الأولين المعبر عن أهلها ببليغ هذه العبارات بعين الاعتبار ، ولا يكن من الذين يمرون بالآيات وهم عنها معرضون.."[١].

أما فيما يتعلق بالرؤية الحضارية ، فكانت نظرة بعض المؤرخين في هذا الجانب منطلقة من كونها منجز حضاري حريٌ بالمرء أن يتأمل ويتدبر صنعته، بل يجب الإشادة والثناء على عقول وسواعد من شيدوها، ويمكن الوقوف على هذا المعنى فيما ذكره مؤرخ الشام العماد الأصفهاني حين زار مصر هو ورفاقه ، فقال :" واقترحنا على القاضي ضياء الدين بن الشهرزوري أن يفرجنا في الأهرام، فقد كنا شغفنا بأخبارها في الشام، فخرج بنا إليها .. ورأينا العجائب وروينا الغرائب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعظمناه، وتداولنا الحديث في الهرم ومن بناه، فكل يأتي في وصفهما بما نقله لا بما عقله، واجتهدوا في الصعود إليه فلم يوجد من توقله، وحارت العقول في عقوده، وطارت الأفكار عن توهم حدوده، فيا له من مولود للدهر قبل الطوفان، انقرضت القرون الخالية على آبائه وجدوده، وسمار الأخبار تذكر حديث أحداث عاده وثموده، ويدل إحكامه وعلوه على همة بانية في بأسه وجوده .."[٢].

وفي هذا السياق أيضا يقول عبد اللطيف البغدادي[٣] حين زارها :" وقد سلك في بناية الأهرام طريق عجيب من الشكل والإتقان على ولذلك صبرت على ممر الزمان بل على ممرها صبر الزمان، فإنك إذا تبحرتها وجدت الأذهان الشريفة قد استهلكت فيها، والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها، والأنفس الشريفة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها له، والملكات الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل مثلا هي غاية إمكانها، حتى أنها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم وترجم عن سيرهم وأخبارهم ". ولهذا كان مأخذه على الملك العزيز عثمان يوسف أنه لم يجنى من وراء محاولته الفاشلة في هدم أهرامات الجيزة الثلاثة سوى تشويه صورتها وهيئتها.

ولم يفت عبد اللطيف البغدادي في هذا الصدد، أن يلفت النظر إلى قضية التعامل الحضاري مع الأهرام والآثار المصرية القديمة عموما من خلال المقارنة بين مرحلتين : مرحلة سابقة على عصره ، ومرحلة شهدها زمانه ، ففيما كان قبل عصره رأى أن الملوك كانوا يحافظون على هذه الآثار ويمنعون العبث بها لمقاصد منها : أن تبقى تاريخا شاهدا على الأحقاب. ومنها أنها شاهد يؤكد صدق ما ورد بشأنها في الكتب المنزلة، لاسيما في القرآن الكريم حيث " أنها

---

[1] – أبو جعفر الإدريسي: المصدر السابق، ورقة ٦

[2] – كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق (ط١: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧) ج٢ ص٤٤٤

[3] – الإفادة والاعتبار ص٢٤. انظر كذلك: مقولة أبو جعفر الإدريسي في هذا الصدد . أنوار علوي الأجرام ورقة ٥٤، ٥٥

مصدقة بالمصير ، ومنبه على المآل " ، ومنها أنها دليل على ما وصل إليه القوم الذين شيدوها من براعة في العلوم ورقي في الفكر[١].

أما عن الحال في زمانه، فيرى أنه كان على النقيض من ذلك ، وألقى بالتبعة في ذلك على ولاة الأمر، عندما تخلوا عن دورهم الحضاري في الحفاظ على الأهرام والآثار عموما وحمايتها، وعلى هذا فتح الباب على مصراعيه أمام أطماع العامة ليعبثوا بها بغية تحصيل ما سمي بـ" المطالب " ، دون النظر بما أحدثوه حيالها من هدم وتخريب ، وفي هذا يقول :" أما في زماننا هذا فترك الناس سدى ، وسرحوا همملا، وفوضت إليهم شؤونهم ، فتحركوا بحسب أهوائهم .. فلما رأوا آثارا هائلة راعهم منظرها ، وظنوا ظن السوء بمخبرها ، وكان جل انصراف ظنونهم إلى معشوقهم وأحل الأشياء إلى عقولهم وهو الدينار والدرهم .. فهم يحسبون كل علم يلوح لهم أنه علم على مطلب ، وكل شق مفطور في جبل على أنه يفضي إلى كنز ، وكل صنم عظيم أنه حافظ لمال تحت قدميه وهو مهلك عليه ، فصاروا يعملون الحيلة في تخريبه، ويبالغون في تهديمه، ويفسدون صور الأصنام إفساد من يرجوا عندها المال ، ويخاف منها التلف .. "[٢].

غير أننا لا نوافق عبد اللطيف البغدادي في كل ما ذكر ، فكما بينا من قبل تعرضت الأهرام وغيرها من الآثار المصرية القديمة في عصر أحمد بن طولون ، وما تلاه من عصور لحركة سطو كبيرة، لدرجة أن بعض ما استخرج منها كان احد أهم الدعامات التي أسس عليها ابن طولون دولته.

أما عن الرؤية العلمية للأهرام، فإذا كانت كتابات الكثير من المؤرخين قد شابتها الأسطورة في الحديث عن ظاهرة الأهرام كما اتضح فيما سلف، فإنها لا تخلو من محاولات بعضهم لإيجاد تفسير علمي لبعض جوانب هذا البناء الشامخ، وممن يبرز في هذا الشأن المؤرخ والرحالة عبد اللطيف البغدادي، وذلك عندما تحدث عن سبب اختيار بناة الأهرام للشكل الهرمي ليقيموا هذا البناء على مثله، فيرى أن من خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه، ومن ثم فهو يتحامل بعضه على بعض ، وعلى هذا فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساقط عليها ، كما كان يرى أنه من عجيب وضعه أنه يحوي الشكل المربع، الذي يقابل بزواياه مهاب الريح الأربع، حيث إن الريح تنكسر حدتها عند مصادمتها الزاوية، وليست كذلك عندما تلقى السطح[٣] .

---

[1] – الإفادة والاعتبار ص٣٤

[2] – عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ص٣٤، ٣٥

[3] – المصدر نفسه ص٢٤. انظر كذلك: تفسير الطبيب على بن رضوان في بناء الهرم. المقريزي : الخطط ج١ ص١١٤

وتأسيسا على ما سبق فقد خلصت الدراسة للآتي:

أولا: تبين أن موضوع الأهرام لاقى في المجمل اهتماما كبيرا في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين على اختلاف موضوعاتها وأنماطها، وإن تفاوت بينها من حيث مستوى التناول والمعالجة . كما تبين أن هذا الاهتمام بدأ منذ عهد مبكر، وكان ذلك – كما ترجح – على إثر محاولة المأمون إحداث نقب أو فتحة في الهرم الأكبر عام ٢١٦ هـ .

ثانيا: تبين كذلك بعد إجراء منهج المقارنة بين ما طرحته الرواية الإسلامية من تفاصيل بشأن الأهرام– لاسيما الهرم الأكبر– في نطاق مصر القديمة ، وبين ما توصلت إليه بعض الدراسات الحديثة في هذا الصدد، أن الأسطورة استحوذت على مساحة كبيرة من فيما يخص المادة الإخبارية المتعلقة بهذا الأمر، حتى وصل الأمر ببعض المؤرخين أن يروا في هذا الشأن ما يناقض صريح العقل وصحيح الدين.

ثالثا: تبين أيضا أنه على الرغم من الحضور القوي للأسطورة ، فقد كشف الدراسة عن العديد من أوجه الالتقاء ، ككون الملك سوريد هو باني الهرم الأكبر ، وأن بناء الأهرام تم قبل حادث الطوفان. بل بعد الاضطلاع بتحليل بعض مفردات الأسطورة ذاتها ، تبين أنها تحوي بعض الخصائص التي تستند إلى أصل في تاريخ مصر القديمة. كعقيدة البعث ، وإمساك الكهنة بناصية الحياة السياسية والفكرية والدينية ، والأحجار التي بنيت منها الأهرام ومناطق جلبها ، ليس هذا فحسب بل ورد فيها ما جعل للمؤرخين المسلمين السبق في الكشف عن بعض الجوانب الحضارية المبهمة في تاريخ مصر القديمة، مثل كونهم أول من ربط بين بناء الأهرام وبين علم الفلك .

رابعا: تسنى للدراسة بعد الاستقراء الوقوف على موارد الرواية الإسلامية عن الأهرام، كان أهمها كتاب مدون باللغة القبطية، تناولت مادته تاريخ مصر القديمة، إلا أن مؤلفه مجهول، وكذا أوان كتابته. وقد عثر عليه الداوداري بالدير الأبيض في بلدة سوهاي بصعيد مصر. هذا إلى جانب الرواية الشفهية . أما فيما يتعلق بالترجمة عن اللغة المصرية القديمة كمصدر للرواية لتاريخ، فقد نزعت الدراسة إلى عدم اعتماده موردا حقيقيا في هذا الشأن ، حيث تبين عجز وتخبط الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين في التعرف ماهية ما سطر من هذه اللغة على جدران الأهرام وغيرها.

خامسا : تبين من خلال الدراسة أن الأسطورة استحوذت على بعضا من جوانب الرواية الإسلامية عن الأهرام في نطاق فترة مصر الإسلامية، وإن كانت أقل حضورا قياسا فيما روي عنها أخبار فيما يخص فترة مصر القديمة، ويعود ذلك بالطبع لكون العديد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين، كانوا معاصرين لجل الأحداث التي جرت على الأهرام في تلك الفترة .

سادسا : كشفت الدراسة عن العديد من أهم الأحداث التي جرت ومرت على الأهرام، لاسيما محاولة المأمون التي أسفرت عن إحداث ثلمة في الهرم الأكبر والتي كشفت للدارسين بعد ذلك بعضا من الغموض المتعلق بأسرار بناء الهرم الأكبر، وقد تسنى للدراسة في ظل حالة التضارب التي ألمت بالراويات، أن تقف على دوافع وملابسات وأبعاد هذه المحاولة.

سابعا : أوضحت الدراسة أيضا عن أن الرواية الإسلامية هي المصدر الوحيد الذي كشفت ملابسات محاولة فتح هرم (منكاورع)، أو ما يطلق عليه في المصادر الإسلامية " الهرم الملون "، في القرن السابع الهجري عن طريق ما أطلق عليهم " المطالبيون "، وذلك قبل محاولة (فيس) عام ١٨٣٧م.

ثامنا : تسنى للدراسة من خلال الاستقراء أن تبيِّن منظور الفكر الإسلامي للأهرام من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين ، حيث لم ينطلق من كونها ميراثا وثنيا يجب التخلص منه ، بل قام هذا المنظور على مجموعة من الرؤى تجسدت في الجانب الوعظي، والحضاري، والعلمي .

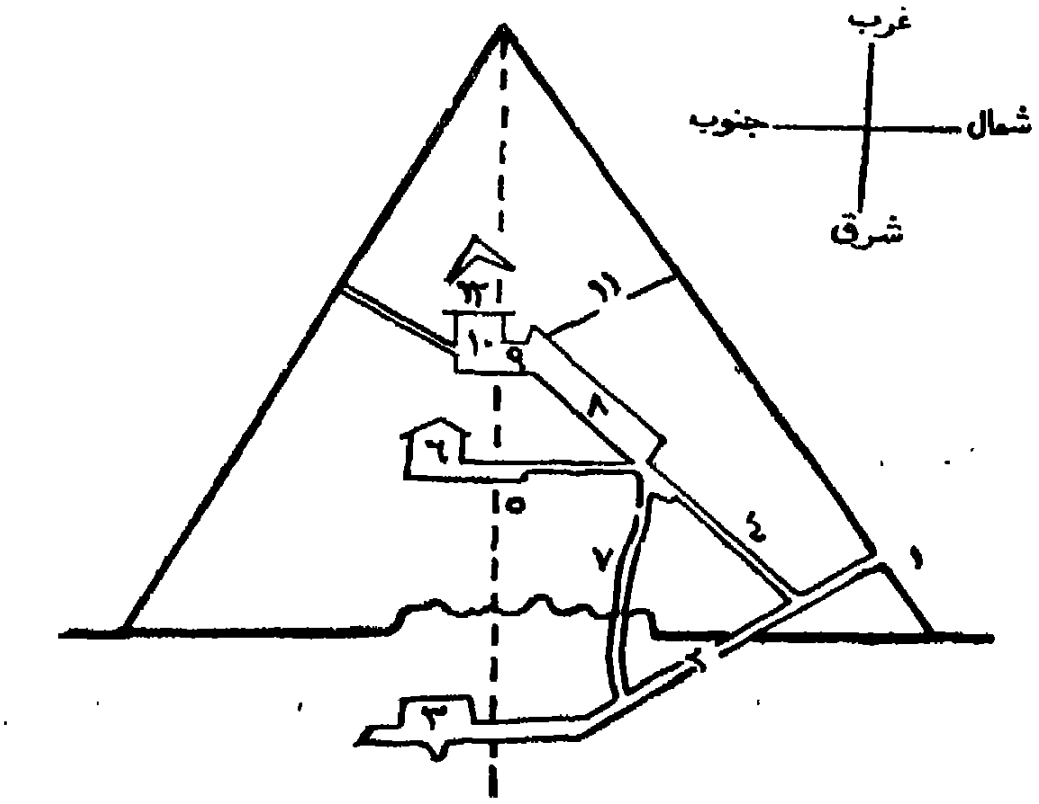

شكل (١): قطاع في سراديب الهرم الأكبر[1]

١- ممر الدخول الأصلي

٢- الممر السفلي

[1] – هذا الشكل مقتبس من كتاب الآثار المصرية لجيمس بيكي ص٢٤٤

٣- الغرفة تحت الأرض (النقرة)
٤- الممر الصاعد
٥- السرداب الأفقي
٦- غرفة الملكة
٧- البئر العمودية
٨- البهو الأعظم
٩- الردهة
١٠- غرفة الملك
١١- قنوات التهوية
١٢- غرفة تخفيف الثقل

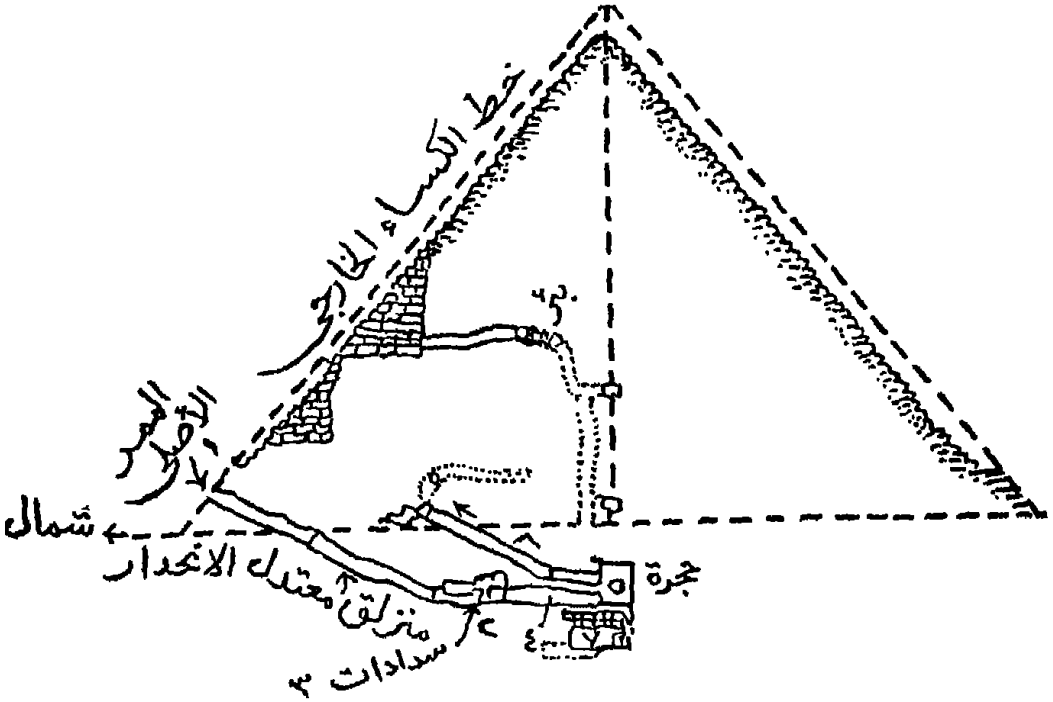

شكل (٢): قطاع في سراديب الهرم الثالث[1]

١- المدخل الأصلي
٢- ردهة
٣- (٣) سدادات
٤- ممر
٥- حجرة الدفن
٦- ممر
٧- حجرة سفلية

[1] - هذا الشكل مقتبس من كتاب الآثار المصرية لجيمس بيكي ص٢٧٣

قائمة المصادر والمراجع

أمينة عبد الفتاح السوداني :

– المناجم والمحاجر في مصر القديمة ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٠م

أنطوان بطرس :

– لغز الهرم الكبير (ط١ ؛ بيروت – لندن: شركة رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٨)

أنطوان ذكري :

– مفتاح اللغة المصرية القديمة (ط١؛ القاهرة: مكتبة مدبولي ، ١٩٩٧)

ابن بطوطة (ولد عام ٧٠٣هـ) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي الكتاني (ط٤؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥)

البكري (ت٤٨٧هـ): أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري

– المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة (ط١؛ بيروت: دار الكتب العلمية ،٢٠٠٣– ١٤٢٤)

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)

– النجوم الزاهرة (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب.د)

أبو جعفر الإدريسي (ت٦٤٩هـ): محمد بن عبد العزيز الإدريسي

– أنوار علوى الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، مخطوط : مكتبة عارف حكمت / 900,21 تاريخ – عربي.

جيمس بيكي :

– الآثار المصرية في وادي النيل ص٢٤٧، سمير أديب : الجيزة (القاهرة : ١٩٩٧)

حاجى خليفة (ت ١٠٦٧) : محمد بن عبد الله القسطنطيني

– كشف الظنون (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣– ١٩٩٢)

ابن حجر (٨٥٢هـ) : : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان (ط٢؛ الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف الثمانية، ٩٧٢)

حسن محمود :

– الكندي المؤرخ (القاهرة: الدار المصرية للترجمة والنشر " سلسلة أعلام العرب/ ٥٥ " ب.د)

الحموي : أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف

– التاريخ المنصوري، تحقيق: أبو العيد دودو (دمشق مطبعة الحجاز،١٩٨١)

الحميري: محمد بن عبد المنعم الحميري (ت٩٠٠ هـ)

– الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (ط٢؛ بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠)

ابن حوقل (توفي في حدود عام ٣٥٠هـ) : أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي

– المسالك والممالك (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٣)

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (ت٣٨٠هـ)

– كتاب المسالك والممالك (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩)

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)

– العبر (ط٤؛ بيروت : دار إحياء التراث العربي، ب.د)

ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ)

– وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨)

الإدريسي: أبو الحسن محمد بن إدريس الحموي (ت٥٦٠هـ)

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ليدن : ١٨٦٦)

الدواداري : أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري

– الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا ، تحقيق: بيرند رانكة (القاهرة : إصدار الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، ١٤٠٢–١٩٨٢)

– الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة ، تحقيق: إدوارد بدين (بيروت : إصدار الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، ١٤١٤–١٩٩٤)

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)

– سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي (ط٩؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣)

راجي عنايت :

– الهرم وسر قوته الخارقة (ط٦؛ القاهرة : دار الشروق، ١٤١٥– ١٩٩٥)

سيد كريم :

– لغز الهرم الأكبر (القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)

سيرج سونيرون:

– كهان مصر القديمة، ترجمة: زينب الكردي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥)

سيريل ألدريد :
– الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة: مختار السويفي (ط٣؛ الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٧– ١٩٩٦)
السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)
– حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (ط١؛ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨– ١٩٩٧)
ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ)
– فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري (ط١؛ بيروت: دار الفكر، ١٤١٦– ٩٩٦)
عبد اللطيف البغدادي : أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي (ت٦٢٩هـ)
– الإفادة والاعتبار(ط١؛ مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٦)
على إبراهيم حسن :
– استخدام المصادر وطرق البحث (ط٣ ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠)
ابن فضل الله العمري :
– كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد زكي باشا (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٢–١٩٢٤)
القرماني : أحمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ)
– أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق : أحمد حطيط، فهمي سعد (ط١: بيروت : عالم الكتب ، ١٤١٢– ١٩٩٢)
القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ)
– آثار البلاد وأخبار العباد، تحقيق :ف.وستنفيلد (جوتنجن : ١٨٤٨)
القلقشندي: أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ)
– صبح الأعشى، تحقيق: يوسف طويل (ط١؛ دمشق: دار الفكر، ١٩٧٨)
المسعودي : على بن الحسين (ت٣٤٦هـ)
– أخبار الزمان ، تحقيق: عبد الحميد حنفي (ط١؛ مصر: ١٣٥٧هـ– ١٩٣٨هـ)
– مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط٢؛ بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤– ١٤٢٥)
المقدسي: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)
– كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق (ط١: بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧)
المقريزي : أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)
– الخطط (بيروت : دار صادر، ب.د)

النويري (ت٧٣٣هـ): شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

- نهاية الأرب في فنون الأدب

ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)

- معجم البلدان (بيروت: دار الفكر، ب.د)

ملخص بحث الدكتور/ أحمد دندورمدرس تاريخ الإسلامي بكلية التربية جامعة المنصورة

الأهرام
في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين بين الأسطورة والتاريخ

استحوذت الأهرام على حيز كبير من اهتمام نفر غير قليل من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين ، وذلك على مر أزمنة وعصور التاريخ الإسلامي،وقسمت الدراسة إلى موضوعين أساسيين : أولا : الأهرام في نطاق مصر القديمة . انصب الأهتمام بشكل أساسي على أهرامات الجيزة الثلاث، لاسيما الهرم الأكبر، أما حديثهم عن باقي الأهرام فلم يرق عن مجرد إشارات عامة ، تعرضت لما كانت عليه من كثرة العدد فضلا عن هيئتها ومادة بناءها أما إذا انتقلنا لأهرامات الجيزة الثلاثة ، فسنعرض لما ذكره الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمين عن الأهرام، وعلى الرغم من أن الأسطورة أتت كما هو واضح على الحقيقة التاريخية فحرفتها عن مواضعها ، فإننا لو حاولنا قراءة بعض المفردات خارج سياق الأسطورة ، سنجدها ترشد عن بعض الخصائص التي تستند إلى أصل في تاريخ مصر القديمة، كـ" الطلمسات "، و" الكهنة " ، و" العقاقير "، و" الحكمة " ، و" التوابيت ".

وسو ف نرصد أحوال الأهرام منذ بداية نزول الصحابة ψ ببن الجيزة أثناء عملية الفتح الإسلامى لمصر ، وكان من بين الصحابة: الزبير بن العوام ، وأمه السيدة صفية ، وسعد بن أبي وقاص ، وخارجة بن حذافة السهمي، والمقداد بن الأسود ، وأبو رافع مولى الرسول ρ .ثم محاولة الخليفة العباسى المأمون نقب الهرم الأكبر .وننتقل بعد ذلك إلى العصر الطولونى حيث شغف أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمعرفة أسرار الأهرام .

ملخص بحث الدكتور /ياسر أحمد نور مدرس التاريخ الإسلامي بكلية التربية جامعة المنصورة

The pyramids

"In the writings of travelers and historians, and coordinates between the Muslim myth and history"

The pyramids got into the deal of attention from quite a few number of travelers and historians, and the coordinates of the Muslims, and over the times and the Islamic history, and the study was divided into two fundamental principles: First: the pyramids in the scope of ancient Egypt. Attention has been focused mainly on the three Giza pyramids, particularly the biggest pyramid, and they talk about the rest of the short-pyramids did not just general references, was what it was from the large number as well as its material of construction and if we moved to the three pyramids of Giza, we'll display to the travelers and geographers and historians Muslims from the pyramids, and despite the fact that the myth came as a clear demonstration of the historical truth of the Vhrvatha place, if we tried to read some of the vocabulary outside the context of myth, Sngdaa guide for some of the characteristics that based on the origin in the history of ancient Egypt, as a "Tlmsat", and "priests", and "drugs", and "Wisdom", and "coffins."

We will Write pyramids monitor conditions since the bin Giza during the Islamic conquest of Egypt, wasψbeginning of fall Sahaabah among the Sahaabah: Zubair bin grassroots, and his mother Ms. Safia, and Saad bin Abi Waqas, and beyond bin Hmavp stock, Miqdad Ben Black, Abu Rafi Moley perfect Mohamed and Abbasid Caliph al, then attempt to secure the largest craterρProphet pyramid. We turn next to the age where Altouleuny passion Ahmed Ibn Tulun, founder of the state secrets Altouleunip by the pyramids